الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

الحملة العثمانية على تونس– حلق الوادي (982هـ/1574م) من خلال الوثائق العثمانية

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة :

صباح جبريط

إشراف :

دة. رحيمة بيشي

اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عمر بن قايد	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	رئيسا
د. رحيمة بيشي	أستاذ محاضر ب	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د. عائشة محمة	أستاذ محاضر ب	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: (1444هـ/2022–2023م)

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم التاريخ

الحملة العثمانية على تونس– حلق الوادي (982هـ/1574م) من خلال الوثائق العثمانية

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في تاريخ المغرب العربي الحديث

إعداد الطالبة :

صباح جبريط

إشراف :

دة. رحيمة بيشي

اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د. عمر بن قايد	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	رئيسا
د. رحيمة بيشي	أستاذ محاضر ب	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
د عائشة محمة	أستاذ محاضر ب	جامعة غرداية	مناقشا

السنة الجامعية: (1444هـ/2022–2023م)

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى:

من حملتني وهنا على وهن..إلى منبع الحنان... الى من ربتني وتعبت لأجلي... إلى من علمتني معنى الصبر والكفاح... الى من كان دعاؤها سر نجاحي... أمي الحبيبة أعانك الله على نوائب الدهر دمت تاجا فوق رؤوسنا.

إلى من سعى وشقى من أجل وصولي لأعلى المراتب...الى من هو قدوتي وفخري واعتزازي... صاحب الشأن العالي...الى رمز الكفاح في الحياة... أبي الغالي رعاك الله وشفاك دمت لي دخرا وفخرا.

الى زوجي العزيز الذي تحملني وأعانني على إكمال دراستي... إلى عصفوري منيب عبد المجيب الذي انشغلت عنه طيلة دراستي.

إلى من شجعتني على الدراسة وإكمال مسيرتي... إلى من اعتنت بابني رغم مرضها...إلى أم زوجي الطيبة أم العلماء التي تحب العلم وتسعى لمساعدة أهل العلم... شفاك الله أمي وأعانك ورعاك.

إلى أخواتي الغاليات: سمية، نور الهدى، حنان وأزواجهم وأولادهم كل باسمه وإلى إخواني: نور الدين، وعمار وزوجاتهم: مبروكة ،حليمة وأولادهم، إلى عبد الرحمان وعبد الجليل شفاك الله أخي الغالي وحفظك من كل سوء، وإلى جميع أفراد عائلة جبريط في حاسي لفحل.

إلى أخوات زوجي الغاليات: الدكتورة رحيمة ، حبيبة، مهدية، حنان، زكاة وأزواجهم و أولادهم، إلى إخوة زوجي: البروفيسور عبد الحليم، بشير، عمار، عاطف، ورضا وزوجاتهم وأولادهم، وإلى أفراد عائلة بيشي بمتليلي الشعانبة صغيرا وكبيرا.

إلى صديقاتي الوفيات: مريم، حليمة، عامرة، فاطمة، فايزة، كلثوم، حورية، وردة.....

إلى من رافقني في مشوار دراستي أساتذة وإداريين وإلى زملائي وزميلاتي في الدفعة وخاصة زميلتاي مليكة وايمان

الطالبة: جبريط صباح

شكر وعرفان

أشكر الله جل جلاله وأحمده حمدا كثيرا على منه وعطائه بفضله وتوفيقه على إتمام هذا العمل المتواضع.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان لمشرفتي الدكتورة رحيمة بيشي التي لم تبخل علي بنصائحها وتوجيهاتها وإرشاداتها من أجل إنجازي لهذا المشروع.

كما أشكر جميع من قدم لي الدعم، ولو بنصيحة أو تشجيع لإتمام هذا العمل من قريب أو بعيد، خاصة أساتذتي الأكارم الذين أزف لهم كل عبارات العرفان والامتنان لمجهوداتهم الجبارة طيلة مشواري الدراسي.

كما لا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة: الدكتور بن قايد عمر و الدكتورة محمة عائشة اللذان تفضلا بإثراء موضوع هاته المذكرة ومناقشتها.

1) المختصرات باللغة العربية:

المختصر	الكلمة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د.د.ن	دون دار نشر
د.س.ن	دون سنة النشر
د.ط	دون طبعة
د.م.ن	دون مكان النشر
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ط	طبعة
ع	عدد
م	ميلادي
مج	مجلد
هـ	هجري

2) المختصرات باللغة الأجنبية:

المختصر	الكلمة
T	Tome
Op.cit	Ouvrage précité
P	Page
Ibid	Ibidem

مقدمة

شهد البحر الأبيض المتوسط خلال القرن(10هـ/16م) صراعا كبيرا -نظرا لأهميته الاستراتيجية- بين القوتين البارزتين آنذاك وهما المملكة الاسبانية والتي تمثل المسيحية، والخلافة العثمانية التي كانت تمثل الإسلام، هذا الصراع الذي كان امتدادا للحروب الصليبية ضد المسلمين، وبعد سيطرة الاسبان على السواحل الشرقية للمغرب العربي، برز في المقابل الأتراك العثمانيون (الإخوة عروج وخير الدين) الذين حملوا لواء القضاء على الاسبان في السواحل المغاربية وحماية المسلمين في تلك الأقطار، لأنهم كانوا مغامرين ويجوبون البحار، فاستطاعوا ضم الجزائر إلى الخلافة العثمانية سنة 1519م، لتليها طرابلس الغرب سنة 1551م.

وبحكم الموقع الاستراتيجي لتونس في منطقة البحر المتوسط، لأنها تمتلك موانئ تتحكم بها في الطرق والتجارة البحرية، ومثال ذلك ميناء حلق الوادي الذي يقع في منتصف الحوضين الشرقي والغربي للمتوسط، اشتد النزاع بين العثمانيين والاسبان على تونس التي كانت تتخبط في ظل ضعف السلطة الحفصية التي كانت تحكم طيلة ثلاثة قرون من الزمن، وفي سنة 1534م تمكن خير الدين بربروس من دخول تونس نظرا لقوة نفوذه ليفاجئ بحملة ضخمة سنة 1535م سيرها الملك الاسباني شارلكان على تونس، وهذا بعد استنجاد آخر الملوك الحفصيين بهم(الحسن الحفصي)، الرافض للعثمانيين فاستبيحت تونس للإسبان ليبقى هذا الأخير ملكا عليها بالاسم فقط بعد توقيعه على معاهدة الذل، لتأتي جهود كل من "درغوث باشا" و"قلج علي" حيث تمكن هذا الأخير من تحريرها سنة 1569م، ليفاجئ أيضا بحملة ثانية بقيادة الدون خوان النمساوي سنة 1573م، وهذا بعد هزيمة العثمانيين في معركة ليبانت سنة 1571م وانشغالهم في تنظيم الأساطيل والجيوش وصناعة الأسلحة للتحضير لحملة ضخمة يقودها "سنان باشا" وقلج علي من أجل تحرير تونس وحلق الوادي من سيطرة الاسبان، وكان ذلك سنة 1574م. وهذا هو محور دراستي الموسومة بـ:" **الحملة العثمانية على تونس– حلق الوادي سنة(982هـ/1574م) من خلال الوثائق العثمانية**".

– أهمية الدراسة:

تعد الوثائق المصدر الحقيقي والأساسي لكتابة التاريخ المغاربي العثماني، وهذا من خلال المراسلات والفرمانات التي كان يبعثها السلطان العثماني لحكام الإيالات المغاربية، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على طبيعة الحكم الإسلامي العثماني في هاته الإيالات على غرار دول المشرق الإسلامي، ولأن معظم الوثائق كانت بلغتها الأم (عدا وثائق الأرشيف الوطني الجزائري)، فقد كان

يشق على دارسي تلك الفترة الحصول عليها ودراستها، لكن بجهود المؤرخين وفي طليعتهم الدكتور عبد الجليل التميمي الذي حاول بجهد كبير جمع تلك الوثائق وترجمتها وإتاحتها للطلبة والدارسين لأن منطقة المغرب العربي في ظل الحكم العثماني لم تحظى بكثير من المصادر التاريخية وخاصة تونس.

- **أسباب اختياري للموضوع:**

جاء اختياري لموضوع " الحملة العثمانية على تونس- حلق الوادي"، لأنه كان لدي فضول حول تاريخ تونس الحديث كونه تاريخ حافل بالأحداث، وهذا بعد دراستنا له في السنة أولى ماستر ضمن مقياس " تونس الحديثة" حيث لم ندخل كثيرا في تفاصيل تلك الأحداث، بسبب ضيق الوقت والضغط خصوصا وأن الدراسة كانت في فترة جائحة كورونا، كما وأننا قمنا بتحليل ودراسة نص في ذلك المقياس بعنوان:" حملة سنان باشا على تونس" من كتاب تاريخ المغرب العربي من خلال مصادره لمؤلفيه دلندة الأرقش وآخرون، كان النص لابن أبي دينار في كتابه المؤنس في تاريخ افريقيا وتونس الذي عالج فيه هذه الحملة وظروفها وحيثياتها، وهذا ما شدني إلى هذا الموضوع لكي أغوص في غمار تلك الرحلة عبر الزمن و عيشها كأنني شاهدة في وقتها من خلال أحداثها المتسلسلة.

- كما أن القرن(10هـ/16م) مليء بالأحداث المهمة والمشوقة المتمثلة في الصراع المتوسطي بين القوتين الممثلتين في الدولة العثمانية واسبانيا، من بينها معركة تونس- حلق الوادي(982هـ/1574م) الحاسمة والتي غيرت تاريخ تونس للأبد.

- **الإطار الزماني والمكاني للموضوع:**

حددت الإطار الزماني بتاريخ مجريات معركة تونس وحلق الوادي سنة(982هـ/1574م) ، وما سبقها من أحداث مهمة في تاريخ تونس العثمانية.

أما فيما يخص الإطار المكاني فهو تونس بموقعها الجغرافي وحدودها.

- **الإشكالية:**

من خلال دراستي للموضوع طرحت إشكالا رئيسيا جاء كالتالي: فيم تمثلت أحداث ومجريات معركة تونس- حلق الوادي؟ وماتداعياتها على تونس وعلى طرفي النزاع عليها (العثمانيون والاسبان)؟

ولكي أجيب على هاته الإشكالية قمت بتفكيكها إلى تساؤلات فرعية:

- ما أسباب توجه العثمانيين لتونس سنة 1534م؟

- كيف كانت نتائج حملة شارلكان على تونس سنة 1535؟

- لماذا لم يرض الحفصيون بتدخل العثمانيين، وكيف كانت محاولاتهم في استرجاع سلطتهم في البلاد؟

- كيف كانت مساهمة كل من "درغوث باشا" و "قلج علي" في تحرير تونس؟

- ما الظروف التي سبقت الحملة الاسبانية الثانية على تونس سنة 1573م؟ وما نتائجها؟

- الدراسات السابقة:

خلال دراستي لتاريخ تونس استفدت من عدة دراسات سابقة متخصصة في الموضوع، والتي تمثلت في أطروحات الدكتوراه والماجستير والماستر نذكر منها:

- طاهر تومي: **علاقات الايالات المغاربية العثمانية مع اسبانيا ما بين 1520- 1792م**، أطروحة دكتوراه، والتي كانت أحداثها متسلسلة ومفصلة ساعدتني في ترتيب الأحداث.

_ رحيمة بيشي: **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية أواخر الدولة الحفصية (898-982هـ/1494-1574م)**، رسالة ماجستير، استعنت بها في معالجتي للوثائق العثمانية.

- الشافعي درويش: **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن(10هـ/16م)**، رسالة ماجستير، ساعدتني في كيفية فهم الموضوع ونقاطه الأساسية.

- إبراهيم سعيود: **الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني**، أطروحة دكتوراه، استعنت بها في التحقق من الأحداث والتواريخ وكذا تعريف الشخصيات والمناطق التونسية والعثمانية.

- **المنهج المتبع:**

اعتمدت في دراستي للموضوع على المنهج التاريخي و الوصفي والتحليلي، فالأول استعنت به في دراسة ووصف الأحداث التاريخية وكذا وقائع ومجريات المعارك، أما الثاني فاستعنت به في تحليل تلك الأحداث و كشف مسبباتها ونتائجها.

- **الخطة المعتمدة في الدراسة:**

انتهجت في دراستي للموضوع على الخطة التالية: مقدمة وثلاثة فصول، كل فصل يحتوي على ثلاثة مباحث وكل مبحث يحتوي على عناصر، إضافة إلى تقديم وخلاصة لكل الفصول وأخيرا خاتمة، وملاحق، وفهرسا للموضوعات.

- تطرقت في المقدمة لجميع عناصرها بدء من التعريف بموضوعي ثم أهمية الدراسة أو الهدف منها، ثم دواعي اختياري لهذا الموضوع الذاتية والموضوعية منها، ثم الإشكالية المطروحة والمنهج المتبع ثم ذكرت الدراسات السابقة التي استفدت منها في دراستي لتليها الخطة المتبعة، ثم ذكرت المصادر والمراجع الخاصة بموضوعي وأخيرا الصعوبات التي واجهتني أثناء قيامي بالبحث.

- **الفصل الأول:** كان بعنوان الصراع العثماني الاسباني على تونس خلال القرن(10هـ/16م)، والذي قسمته إلى ثلاث مباحث: الأول بعنوان العثمانيون في مواجهة الاسبان في تونس 942هـ/1535م، أما المبحث الثاني فكان بعنوان: تونس تحت الاحتلال الاسباني، أما فيما يخص المبحث الثالث فقد كان بعنوان دور الدولة العثمانية في تحرير تونس ليختم الفصل بخلاصة.

- **الفصل الثاني:** عنوانه الظرفية المتوسطية لمعركة تونس- حلق الوادي (982هـ/1574م) ومسبباتها، والذي قسمته هو الآخر إلى ثلاث مباحث، المبحث الأول كان بعنوان القلج علي يقود حملة على مدينة تونس (977هـ/1569م)، أما المبحث الثاني فعنوانه الدون خوان النمساوي يوجه حملة على تونس(981هـ/1573م)، وأخيرا وليس آخرا المبحث الثالث بعنوان: معركة تونس- حلق الوادي (المسببات والاستعدادات)، لتختم بخلاصة للفصل.

- **الفصل الثالث والأخير:** فكان عنوانه: الحملة العثمانية على تونس – حلق الوادي (982هـ/1574م) وتداعياتها، وتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، الأول عنونته ب: مجريات

المعركة، والثاني: التحرير النهائي لتونس وحلق الوادي، اما المبحث الأخير فعنوانه: تداعيات (انعكاسات) معركة تونس- حلق الوادي، وأخيرا خلاصة للفصل الثالث.

- وختمت دراستي بخاتمة احتوت على أهم ما توصلت له من نتائج للدراسة، لتأتي بعدها قائمة للملاحق تتضمن وثائق من الأرشيف الوطني الجزائري وخرائط وصور ومخططات، وأخيرا قائمة المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع.

- **المصادر والمراجع التي اعتمدتها في دراستي:**

1) **الوثائق الأرشيفية:** استعنت في دراستي على الوثائق الأرشيفية (مهمة دفتري) الاصلية الموجودة في الأرشيف الوطني، التي ترجمها الى العربية الأستاذ محمد داوود التميمي من خلال وثائق مهمة دفتري، والتي استفدت منها كثيرا في الفصلين الثاني والثالث.

2) **المصادر:** اعتمدت على مجموعة من المصادر أغلبها باللغة العربية، كما استعنت على مصدر او اثنين أجنبيين.

- كتاب غزوات عروج وخير الدين: لمؤلف مجهول، تع: عبد القادر نور الدين، اعتمدت عليه في الفصل الأول وخاصة المبحث الأول ضمن جهود خير الدين في مواجهة شارلكان.

- مذكرات خير الدين بربروس: تر: محمد دراج وهي مذكرات خير الدين أملاها على زميله في الجهاد سيد علي المرادي وهذا بطلب السلطان سليمان القانوني، والذي تحدث فيها عن مغامراته والاحداث التي جرت معه أثناء جهاده ضد الاسبان، استعنت بهذا المصدر في الفصل الأول كذلك من خلال جهود خير الدين وحملة شارلكان على تونس.

-كتاب افريقيا: لمؤلفه الاسباني لويس مارمول كاربخال الذي شارك شارلكان في حملته على تونس، هذا الأخير استند كثيرا على كتاب وصف افريقيا لمؤلفه الحسن الوزان في كتابته عن المغرب العربي، وبما أنه اسباني فأكيد أنه سيكون ذاتيا في كتابته، لكنه مصدر مهم لا يمكن إغفاله، هذا الكتاب فيه 3 أجزاء، حيث استفدت من الجزء الثالث في الفصل الأول.

3) **المراجع:** اعتمدت في دراستي على مجموعة من المراجع أهمها:

- كتاب المؤنس في تاريخ افريقية وتونس: لمؤلفه ابن أبي دينار الرعيني القيرواني هو مؤلف تونسي كتب

عن تاريخ تونس منذ الفتح الإسلامي بها وإلى غاية القرن(11هـ/ 17م)، استعنت به كثيرا في دراستي.

- كتاب الحوليات التونسية: لمؤلفه ألفونصو روسو، تر: محمد عبد الكريم الوافي، يؤرخ للفترة (1535م-1830م) أي بداية حملة شارلكان على تونس سنة 1535م، وقد استعنت به كثيرا وخصوصا في هذه الجزئية.

إضافة إلى مراجع كثيرة ك: كتاب الفتح العثماني للأقطار العربية لصاحبة إيفانوف نيقولاي و كتاب: الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا لمؤلفه عزيز سامح ألتر وغيرهم.

- **الصعوبات التي واجهتني:**

كالعادة لا يخلو أي بحث من صعوبات وعراقيل، فمن بين الصعوبات التي واجهتني:

ـ لم تحض تونس بكثير من الدراسات في الفترة الحديثة، لهذا شق علي الالمام بالموضوع وانتقاء مصادره المتخصصة.

- تعد دراستي لتاريخ تونس من خلال الوثائق الأرشيفية أمرا جديدا بالنسبة لي، ولهذا وجدت صعوبة في التعامل مع تلك الوثائق وتوظيفها.

-كما أني مررت بظروف عائلية قاهرة وخاصة مرض أغلى الناس، منعتني وشقّت علي البحث وحتى التفكير والاجتهاد، لكن بفضل الله وقوته والتشجيع الذي قدمته لي دكتورتي رحيمة بيشي وكل العائلة حاولت المواصلة والتغلب على عجزي.

ونظرا لضيق الوقت تعذر علي الإحاطة بجميع جوانب الموضوع، إضافة لمسؤولياتي كموظفة وأم لطفل صغير.

وختاما لا يسعني إلا أن أقدم جزيل الشكر والعرفان لأستاذتي رحيمة بيشي التي لم تبخل علي بدعمها المعنوي قبل المادي، وقامت بتصحيح ما ورد في بحثي رغم انشغالها، كما أتوجه بالشكر إلى جميع أساتذتي الذين كانوا معنا في مشوارنا الدراسي وإلى زملائي الطلبة.

وأخيرا لا يسعني سوى قول: إن أصبت في بحثي هذا فمن فضل الله وتوفيقه، و إن أخطئت فقد كانت محاولة واجتهادا، فأرجو من أساتذتي توجيهي وإرشادي للصحيح وشكرا.

الفصل الأول

الصراع الاسباني العثماني على تونس خلال النصف الأول من القرن (10هـ/16م)

المبحث الأول– العثمانيون في مواجهة الاسبان في تونس (942هـ/1535م)

أولا: توجه خير الدين نحو تونس(941هـ/1534م)

ثانيا: شارلكان يوجه حملة على تونس(942هـ/1535م)

المبحث الثاني– تونس تحت الاحتلال الاسباني (942–949هـ /1535–1542م)

أولا: استيلاء الاسبان على تونس وتوقيع معاهدة الحماية

ثانيا: استكمال الاسبان لمشروعهم الاحتلالي في تونس

المبحث الثالث– دور الدولة العثمانية في تحرير تونس

أولا: إسهامات درغوث باشا في مواجهة الاسبان

ثانيا: الجنوب التونسي تحت قبضة درغوث باشا

خلاصة الفصل

تمهيد:

بعد ضعف الدولة الحفصية وكذا الخلافات التي كانت داخل الأسرة الحاكمة، جعلت من تونس مسرحا ملائما لأي تدخل أو استيلاء أجنبي وخاصة اسبانيا التي كانت تهيمن على معظم سواحل شمال افريقيا وكانت تريد تأمين وضعيَّتها في غرب البحر الأبيض عن طريق بناء قاعدةٍ عسكريَّةٍ ثابتةٍ في تونس[1]، وفي المقابل كانت قوة فتية عظيمة تنافس الاسبان وهي الدولة العثمانية التي تحمل راية الإسلام، تدافع وتحمي المسلمين خاصة الأندلسيين المضطهدين والفارين نحو السواحل المغاربية، وبعد انضواء الجزائر تحت الدولة العثمانية، ارتأت هاته الأخيرة ضم تونس من أجل بسط نفوذها في الحوض الأبيض المتوسط والقضاء على الهيمنة الاسبانية[2]، وهذا من خلال نشاط الإخوة بربروس.

المبحث الأول– العثمانيون في مواجهة الاسبان في تونس (942هـ/1535م):

أولا: توجه خير الدين[3] نحو تونس(941هـ/1534م):

استغل خير الدين كل هذه الظروف ليبسط سلطانه على تونس لأن الجزائر بدون تونس لن تكون لها أهمية ولن يستطيع العثمانيون تأمين الطريق بين الجزائر وإسطنبول، كون تونس تقع في الحزام

[1]– **تونس**: بضم أولها وسكون مابعده، والنون تضم وتفتح وتكسر، هي مدينة كبيرة محدثة بأفريقيا على ساحل بحر الروم، وكان اسم تونس في القديم ترشيش، وهي الآن قصبة افريقيا. للمزيد ينظر: الياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دط، مج2، دس، بيروت لبنان، ص60.

[2]– صورة تبين الامتداد الاسباني العثماني في البحر الأبيض المتوسط، **الملحق رقم 01**.

[3]– **خير الدين بربروس**:اسمه خضر، اقترح عليه الأندلسيون بتغيير اسمه الى خير الدين، واطلق عليه النصارى اسم بربروس كما لُقب؛ هو أشهر قبطان عثماني، ولد هو وعروج في جزيرة ليسبوس في اليونان. عاش ما بين 1466 وحتى 1546م ، توفي عام 1546م. **للمزيد ينظر**: خير الدين بربروس: مذكرات...، **المصدر السابق**، ص21. وينظر أيضا: **موقع موضوع**: خير الدين بربروس(اشهر قادة الاساطيل العثمانية)، آخر تحديث: 20:18 ، 14 جويلية 2022م، **ينظر** لصورة خير الدين بربروس: **الملحق رقم02** .

الضيق للبحر المتوسط الذي تقع شماله صقلية، نابولي ومالطا[1]، وجنوبه طرابلس التي كانت تحت يد فرسان القديس يوحنا[2].

في سنة 1533م بعث السلطان سليمان القانوني[3]، فرمانا إلى خير الدين بربروس يطلب منه الحضور الى إسطنبول وهذا بعد انتصار العثمانيين في حربهم ضد النمسا وعقدهم صلحا مع فرديناند[4]، واصطحب معه الأمير الرشيد الذي يعتبر ورقة رابحة في يده، وفي طريقه استولى على سفن اسبانية وغنم منها الكثير، فسر به السلطان العثماني وعينه أميرالا للبحرية، وقام خير الدين بإقناعه بضرورة إلحاق تونس لرقعة الدولة العثمانية، فاهتم هذا الأخير بضم تونس تمهيدا لبسط سيادته على كامل المغرب الاسلامي[5].

شرع خير الدين في إعداد الحملة على تونس ، بعد موافقة السلطان العثماني الذي زوده بقوة عسكرية متكونة من 80 سفينة و 8 آلاف جندي انكشاري و800 قطعة ذهبية وهذا للتعجيل في بناء أسطوله في مقر الأميرالية (ترسانات غاليبولي)، وأذن له بالتوجه إلى الشمال الافريقي لضم تونس وطرد الاسبان، وفي طريقه فاجأ مدينة ريجيو (Regio) في السواحل الإيطالية ، وخرب منطقة

[1]- جون بول وولف: **الجزائر وأوربا (1500 –1830)**،تع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986م، ص ص45- 46 .

[2]- **نفسه**، ص46.

[3]- **سليمان القانوني**: ولد في 01 شعبان 900هـ/1495م في طرابزون، وهو الابن الوحيد لسليم الأول، يُعتبَر سليمان القانونيّ، وهو مَن يُعرَف عند الغرب بسُليمان العظيم، أحدَ أهمّ، وأشهر السلاطين في الدولة العُثمانيّة، ؛ حيث حكمَ الدولة العُثمانيّة مدّة ثمانية وأربعين عاماً، ويُذكَر أنّ لَقَب القانونيّ قد أُطلِق على سليمان؛ نسبةً إلى قوانينه التي وضعها؛ بهدف تنظيم دولته، وحرصه الشديد على أن تكون هذه القوانين مستمَدَّةً من الشريعة الإسلاميّة. و للمزيد ينظر : **موقع موضوع**: شخصيات تاريخية، آخر تحديث: 20:18 ، 14 جويلية 2022م. **ينظر**: صورة للسلطان سليمان القانوني، **ملحق رقم 03**.

[4]- بوحمشوش نعيمة: **مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر**، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 227.

[5]- سامح ألتر: **الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية**، تر، محمود علي عامر،ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1989م، ص 109.

كالابريا واستولى على سكان صو ولوسيدو وكريتارو، وحقق غنائم كبيرة من الأسرى في خليج نابولي وسرلونغا ، وفي فوندي أسر 150 شخصا وحصد من ذلك غنائم هائلة[1].

وفي أوت 1534م توجه الاسطول العثماني بقيادة خير الدين باشا نحو مياه المتوسط، وبعد مروره بعنابة [2]، وجد في انتظاره امدادات جاء بها حسن آغا[3]، ثم توجه برا نحو بنزرت وبحرا نحو حلق الوادي[4]، وعندما علم الحسن الحفصي[5] بذلك انطلق يجول في الشوارع يطلب نجدة الأهالي، لكن شعبه لم يستجب له بسبب نقمته عليه، "لأن أهل المدينة قد كرهوا دولته لأنه كان ظلوما عسوفا، عند ذلك كتب أهل المدينة كتابا إلى خير الدين يستحثونه في القدوم عليهم: وقالو في ذلك الكتاب: **" دارك المدينة قبل أن يتصل عسكرها بمن يدافع عنهم من بني حفص، فعندما ورد عليه كتابهم، سافر بعمارته إلى حلق الوادي"**[6]، وفي اليوم الموالي دخلها بسهولة وأنزل قواته في البر واستقبله الأهالي بترحاب كبير وأعلن الدعوة باسم السلطان العثماني في منابر بنزرت، وبذلك زال الحكم الحفصي وألحقت تونس رسميا بالدولة العثمانية [7].

---

[1]- المنور مروش: **دراسات عن الجزائر في العهد العثماني**، ج2، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص 92.

[2]- بوحمشوش: **المرجع السابق**، ص 149.

[3]- **حسن آغا**: هو علج من أصل سرديني، اختاره خير الدين خليفة عنه في حكم الجزائر عند توجهه لاسطنبول سنة 1533، امتدت فترة حكمه ما بين 1533 و1544م، في فترة حكمه تعرضت الجزائر لحملة شارلكان سنة 1541م، ينظر إبراهيم سعيود: **علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين 18و19**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر(1999-2000م)، ص43.

[4]- نعيمة بوحمشوش، **نفسه**، ص149.

[5]- **الحسن الحفصي**: هو ابن الحسن بن الحسن بن المسعود ابن المولى ابي عمرو عثمان، بويع بعد وفاة والده يوم الخميس 25 ربيع الثاني 932هـ، في عهده ضعفت الدولة الحفصية... للمزيد ينظر: ابن لبي دينار: **المرجع السابق**، 157.

[6]- المجهول: **غزوات عروج وخير الدين**، تع: نور الدين عبد القادر، المكتبة الثعالبية والمكتبة الأدبية لصاحبها رودسي قدور بن مراد، الجزائر،(1353 – 1934م)، ص92. **ينظر** لصورة الحسن الحفصي، **ملحق رقم04**.

[7]- أبو العباس أحمد ابن أبي الضياف: **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تصدير: محمد شمام، ج2، تونس، 1976م، ص11.

في 18 من نفس الشهر أحضر خير الدين نحو 5000 رجل واستولوا على قلعة المدينة في مواجهة مع السلطان الحفصي الحسن بن محمد وأنصاره حيث هرب هذا الأخير واستنجد بالإسبان، أما أنصاره فقد سجنوا بالقلعة وأعدم آخرون[1].

كان أهالي تونس يعتقدون أن خير الدين باشا أحضر معه الرشيد لينصبه على العرش ويستمر الحكم الحفصي الذي ألفوه قرابة 3 عصور من الزمن، وكانوا يأملون استبدال حاكم فاسد(الحسن) بحاكم أصلح منه، أما أن يتم القضاء على دولة شبوا وشابوا عليها فسيكون أمرا صعبا للغاية[2]، وبذلك اتصلوا بالسلطان الحسن وطلبوا منه العودة إلى تونس ووعدوه بمساعدته على طرد العثمانيين[3].

في مقابل ذلك قام خير الدين بإرسال الرسائل إلى المناطق المجاورة وكذا عساكره في الجزائر يطلب منهم إلقاء القبض على الحسن الحفصي وتحريض القبائل ضده، ليتفرغ هو إلى تنظيم وإدارة البلاد، في حين توجه السلطان الفار إلى القيروان التي كانت في ذلك الوقت تحت حكم عرفة الشابي، وهناك استطاع جمع حوالي 15000متطوع وأصبحوا أنصارا له فالتفوا حوله، ولما سمع خير الدين جمع هو أيضا 15000 جنديا و30 مدفعا، فالتقى الجمعان بالصحراء وما إن رأى الحسن وأنصاره المدافع تضرب حتى ولوا مهزومين وبادروا بإعلان استسلامهم و ولائهم لخير الدين[4].

بعد طرد الحسن الحفصي من القيروان، أقام خير الدين حاميات عثمانية بها ووضع حوالي 300 جندي انكشاري و400 فارسا أحضرهم من الجزائر من أجل استتباب الأمن فيها، كما

---

[1]- عبد العزيز سامح إلتر: **المرجع السابق**، ص 112.

[2]- فارس محمد خير: **دراسات في تاريخ شمال افريقيا الحديثة، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، ط1،دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان،2008 ، ص123.

[3]-Fray, Diego de Haedo: **Histoire des Rois d'Alger**, Trad. par : H D Grammont , R.A , t24, 1980, p 55.

[4]- المجهول: **غزوات...، المصدر السابق**، ص94.

استعمل الاعيان في الاستيلاء على بعض المدن المجاورة وقام بتوسيع ميناء تونس، فاستخدم الأرقاء من النصارى في شق قنال حلق الوادي والذي يمتد من البحر إلى البحيرة[1].

كانت القوة الحربية العثمانية تمتلك أسلحة متطورة إضافة على التنظيم العسكري المحكم، مقارنة بجيوش الحسن الحفصي الذي لم يعد باستطاعته تجنيدها نظرا لضعف الدولة وضعف القوة الحربية بها والتي لم تكن متطورة[2].

وبهذا تمكن خير الدين من وضع تونس تحت سلطته وأصبحت هاته الأخيرة إيالة عثمانية بعد انضمام الجزائر، لكن لم يدم هذا طويلا نظرا لموقع تونس الاستراتيجي بالنسبة للإسبان.

ثانيا: شارلكان[3] يوجه حملة على تونس(942هـ/1535م):

كان لانضمام تونس إلى الحكم العثماني أصداء بعيدة في أوروبا المسيحية عامة وفي اسبانيا خاصة، لأن هذا الانتقال في السيادة أثار قلقا لدى زعيمها شارلكان نظرا لموقع تونس الاستراتيجي وإلى النجاح العثماني على أنه تهديد حقيقي ومباشر لتجارة اسبانيا، لذلك قرر غزو تونس بحجة الاستجابة لنداء المساعدة الصادر من السلطان الحفصي مولاي الحسن وفرسان مالطا[4].

1- أسباب الحملة على تونس:

[1]- مارمول كربخال: **إفريقيا**، تع: محمد حجي وآخرون،ج3، دار النشر للمعرفة، الرباط، د ت، ص32.

[2]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال المصادر**، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003، ص53.

[3]- **شارلكان**: يعرف أيضا بشارل الأول(1500-1558م)، والد ضون فيليبوامه ضونا خوانا، ولد في بلجيكا، وتولى عرش اسبانيا من(1517-1556م). للمزيد ينظر: محمد عبده حتاملة: **الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة- دراسة شاملة**، د ط، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2009م، ص999. **ينظر** لصورة شارلكان، **ملحق رقم 05**.

[4]- نيقولاي إيفانوف: **تاريخ البلدان العربية**، موسكو، روسيا، 1963م، ص194.

أمام الانتصارات التي قامت بها الدولة العثمانية في الضفة الغربية من البحر الأبيض المتوسط، ونظرا لموقع تونس الاستراتيجي في الخريطة الاسبانية، هذا ما دفع بشارلكان إلى تجهيز حملة عسكرية إلى تونس لأسباب عديدة نذكر أهمها:

أ- الموقع الجيو سياسي لتونس:

لطالما كانت تونس محط أنظار شارلكان نظرا لموقعها الاستراتيجي في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، لذلك فقد أرسل هذا الأخير جاسوسا إلى تونس سنة (940هـ/ 1533م) وهو الضابط أوشوا دارسيلا (Ochoa dErcilla) [1]، وما جاء في التقرير الذي قدمه هو أن الحفصيين أبدوا استعدادا للتعاون مع شارل الخامس، كما حذر من الامتداد العثماني على تونس وسيطرته عليها يساعدهم كثيرا في السيطرة على ما تبقى من المنطقة وبذلك يتوجهون لاسترداد الأندلس، وهذا ما يخشاه العالم المسيحي[2].

وما كان يثير قلق شارلكان هو انتقال تونس إلى سلطة العثمانيين، لأنه بات خطرا حقيقيا يهدد أوترانت وكالابري، " وبالتالي يهدد صقلية التي كانت تطعم بقمحها نصف أوربا والتي كانت تعتبر كندا القرن 16م"، كما اعتبر أيضا خطرا يهدد اسبانيا نفسها، فالموريسكيون كانوا على استعداد دائم لتقديم العون إلى العثمانيين إذا ما حاولوا شن هجوم على اسبانيا الكاثوليكية[3].

[1]- قائد اسباني ، كان سجينا في تونس، أطلق سراحه الحسن الحفصي سنة 1533م، **ينظر**:
Haedo Diego, op,cit, p57.

[2]- كاتب جلبي: **تحفة الكبار في أخبار البحار**، المطبعة البحرية، إسطنبول، تركيا، 1911م، ص25.

[3]- نيقولاي إيفانوف: **الفتح العثماني للأقطار العربية(1516-1574م)**، تع: يوسف عطا الله، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2004م، ص230.

قام شارلكان بإرسال جاسوس آخر إلى تونس سنة(941هـ/1534م) هو لويس بريزيندا (Luis Presenda) المتنكر في زي تاجر حيث بعث له مذكراته فيها مقترحات منها وجوب الاتصال بالسلطان الحفصي ويعده بمساعدته للدخول إلى تونس والقضاء على خير الدين وأعوانه، كما اقترح عليه أن يكون صديقا لخير الدين، كما أوصى الراهب خوان دي إيريبس الدكتور أرسيلا (Ercilla) وهو مستشار الامبراطور التعجيل بالحملة التي يتم التحضير لها، واقترح أن تكون في شهر مارس ورأى أن نجاح الحملة سيعزل الجزائر وبالتالي يسهل احتلالها ومن ثم ضمها مع تونس وطرابلس للإمبراطورية الاسبانية، لأن بقاء العثمانيين في تونس يعتبر تهديدا حقيقيا للبابوية والإمارات الإيطالية[1].

ب- الحسن الحفصي يستنجد بشارلكان:

بعد تأكد الحسن الحفصي أنه لا يمكنه مواجهة خير الدين والانتصار عليه قرر ارتكاب أكبر جرم وهو الاستنجاد بالاسبان مثلما فعل الملوك المسلمون قبل ذلك، والتي كان نتيجتها القضاء على السيادة الإسلامية في الأندلس، لكن الحسن الحفصي أعاد هاته المأساة بصورة فظيعة وبشعة[2]. وبتشجيع من قائد فرسان مالطة توجه الحسن الحفصي إلى نائب ملك نابولي ونصحه هذا الأخير ببعث برسالة إلى شارل الخامس جاء فيها: "**إن رئيس الترك باربروسة ظلمني وأخذ مملكة آبائي وأجدادي من يدي، وكان الحامل له على ذلك ما علمه بيني وبينك من الصداقة والموالاة، فالواجب عليك أيها الملك أنك تعينني... على رد مملكتي ... فإن استولينا عليها، تكون البلاد لك وأنا أكون كالنائب فيها**"[3]. وهذا ما كان في الأنظمة القديمة التي كانت تتصارع فيما

[1]- جون بول وولف: **المرجع السابق**، ص67.

[2]- محمد خير فارس: **دراسات في تاريخ شمال افريقيا الحديثة(تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي)**، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت1969م، ص132.

[3]- المجهول: غزوات...، **المصدر السابق**، ص95.

بينها لتثبيت اسمها ولو صوريا، لهذا رأوا أنه يجب القضاء على خير الدين بربروس الذي كان يشكل تهديدا مباشرا على هاته الأنظمة في المنطقة وعلى المشروع الاسباني.

بدأ البابا يحرض شارلكان مستغلا استنجاد الحسن الحفصي بالإسبان، وأخبره بأن وجود العثمانيين في الجزائر يهدد نشاطه السياسي والاقتصادي وبدخولهم إلى تونس يشكلون خطرا كبيرا على العالم المسيحي عامة واسبانيا بشكل خاص. وبينما الدولة العثمانية منشغلة بتحرير العراق وإيران ومحاربة الشيعة الروافض، كما أن دول أوروبا تركت الخلافات المذهبية وركز ملوكها على الوحدة الصليبية، لهذا فقد وافق الأمراء الإيطاليون والألمان على الحملة التي كان شارلكان ينوي القيام بها ضد بلاد المغرب وبعد الترتيب والمشاورة استجاب شارلكان إلى نداء المساعدة الصادر من السلطان الحفصي وقرر القيام بحملة عسكرية على تونس، والتي يهدف من خلال عزل العثمانيين عن القسطنطينية وبلاد المشرق وكذا التحكم في السواحل الشرقية والغربية للبحر المتوسط[1].

2- التحضيرات الاسبانية للحملة ورد الفعل العثماني:

أ- الاستعداد الاسباني للحملة:

لقد أعطى شارلكان أوامر سرية بتحضير سفنه الموجودة في موانئ اسبانيا ونابولي وجنوة وصقلية، وأمر بأن تجهز سفن المؤونة والذخائر وغيرها من معدات الحرب، كما أنه كتب للدون يان ملك اسبانيا " بأن يبعث له سفينته الحربية الكبرى مع قطع من أسطوله الحربي"[2].

تعد حملة شارلكان من أضخم الحملات التي قادها، فقد تكونت من كتائب الاسبانيين والألمانيين والهولنديين والنابوليين والصقليين بالإضافة الى فرسان القديس يوحنا في جزيرة مالطا[1]، بحيث ضم الاسطول نحو 400 سفينة مختلفة الأنواع والاحجام، وتكونت قوات الحملة من[2]:

[1]-الياغي أحمد إسماعيل: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، ط1، مكتبة الكبيعان، السعودية،1996م، ص137.

[2]- مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج3،ص33.

– قيادة الأسطول: والذي كان تحت إمرة الأميرال دوريا[3] وهي:

- فرق سفن اسبانيا وجنوة والفلاندر البلجيكية: 54 قادسا شراعيا و70 سفينة كبيرة، 24 مركبا.
- فرقة سفن البرتغال: 27 سفينة بقيادة أنطونيو ساندانا.
- فرق سفن إيطاليا ومالطا: 36 قادسا شراعيا، 28 سفينة كبيرة بقيادة ألفارو دو بازان.

– القوات البرية: وتتكون مما يلي:

1–المشاة وهي:

- قوات اسبانيا(التي خاضت حرب إيطاليا): 4000 رجل، تحت قيادة الجنرال المركيز دي جوازت.
- قوات اسبانية(المكونون الجدد): 8000 رجل، تحت قيادة الدوق ألبا.
- قوات ألمانية: 7000 رجل، تحت قيادة مكسيمليان بيدرا بوينا.
- قوات إيطالية: 1000 رجل، تحت قيادة لويس البرتغالي.

2– الفرسان:

---

[1]– سامح إلتر عبد العزيز: **المرجع السابق**، ص115.

[2]– ألفون روسو: **الحوليات التونسية**، تع وتح: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، د ت، ص ص88-89.

[3]– **أندري دوريا:** ولد بجنوة سنة 1468م، انضم الى فرسان القديس يوحنا، جهز 08 بوارج بوسائله الخاصة بعدما تحررت جنوة وهذا لمهاجمة السفن العثمانية، كان في خدمة فرانسوا الأول، وبعد معركة بافيا 1525م تخلى عنه هذا الأخير ودخل في خدمة – شارلكان 1528م. للمزيد ينظر: رحيمة بيشي: **العلاقات السياسية التونسية الاسبانية في أواخر الدولة الحفصية(898–982هـ/ 1494– 1574م)**، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، اشراف : شكيب بن حفري، المركز الجامعي بغرداية، 1432- 1433هـ/ 2011-2012م، ص75.

وهم من المتطوعين النبلاء، تختلف جنسياتهم من الأمم النصرانية:1000 رجل، تحت قيادة الماركيز دي موندیجار. وسلاح فرسان اسباني: 500 رجل ، بقيادة موندیجار أيضا.

ومن برشلونة ركب شارلكان البحر يوم 30 ماي، مارا بسردينيا أين التقى بماركيز دي جوازت ومعه 28 سفينة نقل و36 من الغاليرات الملكية وعدد كبير من السفن الصغيرة، وقد أمر أندري دوريا بأن تصنع لشارلكان سفينة حربية ذات أربع مجاديف خصيصا له في جنوة وقد ركب معه أخوه الإنفانت الدون لويس الذي وصل برا للمشاركة في هذه الحملة كما ركب معه عدد من النبلاء وسادة القوم الاسبانيين وغيرهم من الأمم الأخرى[1].

وقد اختار شارلكان كاغلياري الواقعة جنوب جزيرة سردينيا والمقابلة لتونس من أجل وضع الاستعدادات النهائية للحملة واستقر بها يومين، وفي 14 جوان وصل مدينة قرطاجة ورسي أسطوله في حلق الوادي[2].

وقد جاء في كتاب جون وولف أن شارلكان كتب ما يلي:" إننا غادرنا سائلين خالقنا العون والإلهام... وأن نقوم بإذن الله ومساعدته، ما يبدو لنا أكثر فعالية، وفضلا ضد بربروس"[3].

ب- خير الدين في مواجهة الحملة:

يذكر خير الدين باشا أنه: " **لم يتأخر السلطان الحفصي في الاستنجاد بشارلكان لاستعادة عرشه فلبى هذا الأخير الدعوة وعلمت أنه سوف يتجه نحو تونس لإخراجنا منها ولأجل ذلك شرعت فورا للاستعداد له منذ أن راجت الأخبار عن التجهيزات الهائلة التي أعدها شارلكان**

[1]- مارمول كاربخال : **المصدر السابق**، ج3، ص34.

[2]- سيد محمد سيد: **دراسات في التاريخ العثماني**، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 1996، ص98.

[3]- جون وولف: **المرجع السابق** ، ص47.

لغزو تونس"[1]، واحتياطا لهذا الهجوم لم يكن لخير الدين القوة الكافية لمواجهته، فقرر توزيع أسطوله في أماكن مختلفة[2]، حيث كان مع خير الدين 84 قادسا، ستة رجعت إلى القسطنطينية و10 أرسلت إلى الجزائر و15 في عنابة و15 اتجهت نحو بنزرت و18 وضعت في المستودعات ، حيث لم يبق إلا 20 قادسا فقطن منها07 قوادس أحضرها سنان رايس[3] من جربة لحراسة حلق الوادي والسواحل القريبة من تونس[4].

وحسب روسو فإن الجيش الإسلامي يشتمل إلا على نحو 4000 من العثمانيين، و1000 انكشاري، و2000 من التونسيين، ويذكر بأن القوة التي كان يمتلكها القابودان خير الدين لم تكن كافية لرد هذه الحملة العظيمة[5]. أما خير الدين فقد أورد بأن جيشه بلغ نحو 12000 أكثر من نصفهم من المتطوعين البدو الذين لا يعرفون قواعد الحرب ولا يترددون في الهروب إذا اشتدت عليهم وطأة الحرب[6].

أما مارمول كاربخال فقد أورد بأن خير الدين كان على علم مسبق بحملة شارلكان على تونس، لكنه لم يتأكد منها تماما إلا بعد أن حل بحلق الوادي راهب فلورنسي مبعوث من ملك فرنسا إلى السلطان العثماني سليمان القانوني الذي أكد له أن الامبراطور بنفسه يشارك في الحملة، عندها قام بإرسال مركبين إلى إسطنبول واحدا تلو الآخر قصد إطلاع السيد الأعظم والباشوات على الأوضاع

---

[1]- خير الدين بربروس: **مذكرات**، تر: محمد دراج، ط1، الجزائر،2010، ص172.

[2]- مروش: **المرجع السابق** ، ج2، ص92.

[3]- **سنان رايس**: أصله إيطالي، وقد كان مسيحيا اسمه(سيبون سيكالا)، وقع في الأسر وأسلم وحسن اسلامه، تقلد سنان رايس العديد من المناصب في الدولة العثمانية. للمزيد ينظر: رابحة محمد خضير عيسى: (دخول طرابلس تحت الحكم العثماني)، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، (د،م،ن)، ع2، 23-24ماي 2007.

[4] -Haedo Diego, op.cit, p57.

[5]- روسو: **المرجع السابق**، ص88.

[6]- خير الدين: **المصدر السابق**، ص173.

الراهنة، وابلاغهم بضرورة التعجيل بالأنجاد وإلا ضاع جيش البحر وضاعت معه الإيالات العثمانية في بلاد المغرب[1].

لكن السلطان العثماني كان منشغلا بقمع التمردات التي اجتاحت أراضيه في آسيا[2].

أما المصادر المحلية فقد أوردت:" **أن خير الدين علم بأمور الحملة الإسبانية بعد عمليات الإنزال في برج في حلق الوادي، وبهذا فإن الاستعدادات لمواجهتهم ستكون قليلة لأن الفترة محدودة وأن خير الدين لا يمكنه جلب الامدادات اللازمة**"[3]. فأقام الحواجز في مضيق حلق الوادي المتكونة من الصخور والأعمدة الخشبية المدعمة وحفر الخنادق ووضع 12000 مقاتلا ووضع السفن الحربية على رصيف حلق الوادي وتحصين القلعة بالمدافع. كما وقد تم تشكيل جماعات مسلحة، أما في المدينة وضواحيها فاتخذت تدابير أمنية استثنائية، كما أصدر خير الدين أمرا بتصفية قرابة 12000 أسير لشكه في إخلاصهم، لكنه تراجع وأبقاهم في زنزانات الدولة وأخرى خاصة مكبلين بالأصفاد[4].

المبحث الثاني– تونس تحت الاحتلال الاسباني (942–949هـ /1535–1542م) :

أولا: استيلاء الاسبان على تونس وتوقيع معاهدة الحماية:

1– استيلاء الاسبان على تونس:

في الوقت الذي أعلن فيه أهالي تونس تخليهم عن خير الدين ، وانشغلوا بأعمالهم بعد أن أوهمهم السلطان الحفصي بالأمان في حالة خذلانهم خير الدين، دخل شارلكان رفقة الحسن

[1]– مارمول كاربخال: **المصدر السابق**: ج3، ص33.

[2]– روسو: **المرجع السابق** ، ص ص86–87.

[3]– المجهول: غزوات...، **المصدر السابق**، ص55.

[4]– إيفانوف: **المرجع السابق** ، ص231.

الحفصي إلى تونس يوم (942/07/21هـ/1535م) واشترط عليه سرا استباحة المدينة لمدة 03 أيام، فوافق على ذلك[1].

فنهبوا وقتلوا الجميع بدون استثناء فنكلوا بالنساء والرجال والشيوخ وحتى الأطفال، وارتكبوا كل أنواع المحرمات، كما هدموا المساجد وحرقوا ومزقوا الكتب [2].

حتى جامع الزيتونة لم يسلم من وحشية الاسبان، فقد خربوا كل مخطوطاته النفيسة ولم يبق لها أثر لأنها رميت في الأسواق وداست عليها خيول الاسبان، فكان إتلاف المكتبات والمساجد من أسباب تدهور الموروث العلمي في العهد العثماني، فقد ذكر الباشي ما يلي: " **انعدم منها العلم تماما عند الاحتلال الإسباني الذي استباح معاهدها وأتلف كتبها واستلحم ما بقي من أعلامها**"[3].

ومن هول المجزرة التي قام بها شارلكان، فقد شبهت بتلك التي قام بها الصليبيون في بيت المقدس، حتى إن أرجل فرس الامبراطور قد اصطبغت بدماء أشلاء الضحايا المتناثرة في أنحاء أزقة وشوارع المدينة[4].

وقد وصف أحد مرافقي الجيش الإسباني الوضع في تونس هكذا:" **وبعد أن دخل عساكرنا تونس لم يحترموا أي أحد، وخربوا كل شيء وأسروا الكثير من السكان، ورغم ذلك لم يغنموا كثيرا، لأن الأعيان حين تركوا المدينة رفقة خير الدين أخذوا معهم ثرواتهم وزوجاتهم**

[1]- ابن أبي الضياف: **المرجع السابق** ، ج2، ص14.

[2]- محمد فريد بك المحامي: **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي،ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1981م، ص223.

[3]- حمودة بن محمد بن عبد العزيز: **التاريخ الباشي**، تح: محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970، ج1، ص14.

[4]- خير الدين: **المصدر السابق**، ص178.

وأطفالهم"[1]. وفي رسالة مؤرخة في (942/07/27هـ/1535م)، يقول نفس المرافق:" **إن تقتيل سكان تونس استفحل إلى درجة أن كثيرا من الجثث بقيت في المنازل والشوارع، ولم تدفن بحيث خلقت جوا موبوءا نتنا جعل الامبراطور يفر بسرعة من المدينة"**[2].

وقد ذكر روسو في الحوليات أن نحو 70000 شخص من مختلف الأعمار قد هلكوا في تلك الحادثة[3]، كما يقول ابن ابي الضياف أنه في هذه الواقعة مات الثلث من سكان تونس، ونجا الثلث ، وأسر الثلث، والمأسور يفتدى إن كان له مال، وتغيرت البلاد وطمست معالمها[4]. واعتبر يوم 1535/07/14 يوما مشهودا لدى العالم المسيحي لأنهم انتصروا فيه على العالم الإسلامي وممثلته الدولة العثمانية.

2- السلطة الحفصية توقع معاهدة الحماية:

في 1535/08/06 وقع السلطان الحفصي مولاي الحسن معاهدة مع الامبراطور شارلكان تضمنت بنودها كل مظاهر التبعية[5]، وفي نفس اليوم عاد إلى العاصمة مع بهجة النصر المزعوم وفي 1535/08/08 وقع معاهدة مذلة مع الامبراطور اعترف فيها بالحماية الاسبانية على تونس، و أهم ما جاء فيها:

- اطلاق سراح جميع الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس.
- أن يلتزم ملك تونس بدفع تعويضات الحملة.

---

[1]- رسالة من روزتي (A,Rosetti) إلى الدوق استه مؤرخة في 1535/07/22م، أوردها قابريال مدينا(Gaberiel Medina) في دراسته عن حملة شارلكان على تونس، نقلا عن مروش: **المرجع السابق**،ج2، ص93.

[2]- مروش: **المرجع السابق**،ج2، ص93.

[3]- روسو: **المرجع السابق** ، ص90.

[4]- ابن أبي الضياف: **المرجع السابق** ، ج2، ص14.

[5]- محمد خير فارس: دراسات في تاريخ شمال افريقيا...، **المرجع السابق**، ص147.

- أن يدفع لإسبانيا ضريبة سنوية تقدر ب 12000 دوقا (عملة فلورنسية) والتي تعادل درهمين عثمانيين والتي استعملتها الدولة العثمانية كعملة ذهبية فقط[1]، للإنفاق على الجنود المقيمين في حلق الوادي.
- أن يلتزم بعدم السماح للبحارة المسلمين بالرسو في الموانئ التونسية، وأن لا يدخل بلاده أحد من مهاجري الأندلس.
- أن يتنازل الحسن الحفصي لشارلكان عن حلق الوادي وعنابة والمهدية.
- أن يسمح للمسيحيين بالاستيطان في إقليم تونس، وإقامة شعائرهم بكل حرية.
- أن يسمح للإسبان بصيد المرجان في تونس.
- أن يأتي إلى تونس قنصل وقاض للبحث في الخصومات بين المسيحيين.
- أن يقدم الملك الحفصي للإمبراطور ستة من الخيول(وقد ذكر روسو أن عددها كان 12 خيلا) من أحسن الخيول العربية، و12 صقرا.
- أن يتعهد الامبراطور بحماية التونسيين.

كما وأنه اشترط على السلطان الحفصي إذا خالف أحد الشروط المبرمة مع شارلكان، فإنه يدفع أول مرة 50000 دوكا، وفي الثانية 10000 دوكا، أما إذا أخلف مرة ثالثة فإن حقه في الملك سيسقط[2]، وقبل أن يغادر شارلكان تونس متوجها إلى صقلية في (942هـ/ 17 أوت 1535م) قام بتشييد قلعة حصينة في حلق الوادي وأمر بتحصينها تحصينا جيدا، ولهذا الغرض أرسل إلى صقلية من أجل استيراد المواد اللازمة لذلك[3]، بعد أن ترك قوة عسكرية تتألف من 200 جندي تحت تصرف الحسن الحفصي من أجل استتباب الاستقرار في البلاد.

ثانيا: استكمال الاسبان لمشروعهم الاحتلالي في تونس:

[1]- مروش: **المرجع السابق** ، ج2، ص93.

[2]- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر...، **المرجع السابق**، ص234.

[3]- ابن أبي الضياف: **المرجع السابق** ، ج2، ص15.

1- احتلال المدن :

أ. **المهدية**[1]: بعد أن أمر الامبراطور شارلكان اسطوله بالرجوع الى اسبانيا، غادر هو حلق الوادي ، متوجها مع بقية أسطوله إلى احتلال مدينة المهدية التي تنازل له عنها السلطان الحفصي بموجب معاهدة سنة(942هـ/1535م)،لكنه رجع إلى صقلية بعد أن تراجع عن حملته بسبب سوء الأحوال الجوية ، فنزل بميناء طرباني واغتنم فرصة قربه من مدينة المهدية للهجوم عليها، لكنه لم يستطع الاستيلاء عليها في تلك السنة[2]. وفي مطلع سنة (946هـ/1539م) أنزل الاسبان حامية بها بطلب من الحسن الحفصي من أجل القضاء على الثورات الداخلية في البلاد، لكن السكان لم يرضوا بهذا الاحتلال وثاروا ضده، مما اضطر الحامية الاسبانية إلى الانسحاب من المهدية[3].

ب. **بنزرت**[4]**(942هـ/1535م)**: لقد رحب سكان مدينة بنزرت بخير الدين وبالحامية العثمانية أول ما دخلوا تونس، لهذا فقد قام الامبراطور شارلكان بمهاجمتهم من جهة البحر بقيادة أندري دوريا، أما السلطان الحفصي فهاجمهم من جهة البر، فأخذوها عنوة دون مقاومة من سكانها ومن الحامية العثمانية، واغتنم الحسن الحفصي الفرصة وقام بمعاقبة السكان الذين ثاروا ضده 3 مرات[5]. و عين شارلكان ممثلا عنه وقائدا عاما في حلق الوادي وهو برناردو دي ماندوزا وكان همه الأساسي بناء القلاع الاسبانية في المناطق التي تمت السيطرة عليها كحلق الوادي وبنزرت وعنابة[6].

ج. **عنابة(942هـ/1535م)**: في جويلية 1535م جاء للإمبراطور شارلكان تقرير من جاسوس يولي أهمية بالغة لمدينة عنابة كونها كانت تابعة للسلطة الحفصية وأبدى تخوفه من سقوطها في يد خير

---

[1]- **المهدية:** مدينة ساحلية تطل على البحر الأبيض المتوسط، بناها المهدي الشيعي سنة913م، غزاها بيدرو نافارو في 1519م ب 09 سفن حربية، لكنه فشل في الاستيلاء عليها. ينظر حسن الوزان: **وصف افريقيا**، تع: محمد حجي وآخرون، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983م، ج2 ،ص ص85-87.

[2]- روسو: **المرجع السابق** ، ص91.

[3]- يحي بوعزيز: "**مقاومة جربة للغزوات الأوروبية في القرن السادس عشر**" أعمال الملتقى حول تاريخ جربة (أفريل 1982م)، المعهد القومي للآثار والفنون، جمعية صيانة جزيرة جربة، 1986، ص63.

[4]- **بنزرت:** مدينة قديمة تقع في الساحل تبعد عن تونس ب 35 ميلا. ينظر إلى الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص68.

[5]- مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص10.

[6]- رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص 92

الدين، إن هذا التقرير دفع بشارلكان إلى الحرص على جعلها من المناطق التي يجب على السلطان الحفصي التخلي عنها لصالحه تحت المعاهدة المبرمة بين الطرفين وذلك من أجل خنق الجزائر اقتصاديا[1]، فأمر الماركيز دي موندجار باحتلال عنابة في (16أوت942هـ/1535م)، وفي 25 من نفس الشهر وصلها هذا الأخير بأسطوله المتكون من 3000 رجل أنزلهم بعيدا عن القلعة التي تحصنت بالحامية، بعدها شرعت قواته في الاستيلاء على مدينة عنابة التي كانت خالية من سكانها المغادرين مع خير الدين نحو الجزائر، فتمكنوا منها:" عاثوا في تلك الجهات فسادا ويغيرون على أهلها ويغنمون منهم المواشي والعبيد وغيرها"، واستمرت أعمال النهب حوالي 8 أيام[2].

لم يستطع الاسبان سوى احتلال مدينة عنابة كون الجهات المطلة عليها كانت محاطة بالحامية العثمانية والأهالي الذين تمكنوا من نصب الكمائن على أبواب المدينة لمواجهة الاسبان[3].

لقد شكل احتلال عنابة من الناحية الشرقية وتلمسان من الناحية الغربية تشديدا للخناق على الجزائر بسبب نشاط خير الدين المتواصل في غرب البحر المتوسط لضرب الاسبان وأهدافهم الاستعمارية[4].

أ. احتلال باقي السواحل التونسية

ب. القليبية[5]: كانت تابعة للعثمانيين فحاول الاسبان إخضاعها بالقوة لكن أهلها دافعوا عنها وقاتلوا أشجع الجنود الاسبانيين، لكنها لم تستطع صد هذا الهجوم وانهزمت في الأخير، وهذا بعد أن

[1]- ناصر الدين سعيدوني: **النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية(1800-1830م)**، الجزائر 1979، ص ص 204-206.

[2] -الفون روسو: **المرجع السابق**، ص93.

[3]- جون بول وولف: **المرجع السابق**، ص ص 115-116.

[4]- المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص 24.

[5]- **القليبية**: عبارة عن قلعة مبنية على هضبة كبيرة بعد ميل واحد من الساحل، بين تونس والحمامات

استشهد 1000 شخص وأسر 1000 شخص، بعدها سلمت للحسن الحفصي[1]، وبسبب كرههم له قاموا ضده بعدة ثورات فسلط عليهم الجنود الاسبان لقمعهم، لكن بعد مغادرة العثمانيين المدينة في (أفريل 948هـ/1541م) لم يتركوا للأهالي أية حماية أو مدافع فلم يظهروا أية مقاومة[2].

ج. **سوسة**[3]: كانت موالية للعثمانيين، فاستنجد السلطان الحفصي بشارلكان بعد أن عجز عن طرد سكانها ، فكلف هذا الأخير دوطيرنوف بحملة جهز لها أسطولا يتكون من 14 سفينة بحرية وأربع سفن ضخمة بها 2000 جندي، كما ارسل ملك تونس عن طريق البر جيشا متكونا من 7000 فارس بقيادة ولده، لكن الاسبان تراجعوا بعد أن فشلوا وتعرضوا لخسائر كبيرة في سفنهم، بعدها قام شارلكان بتكليف أندري دوريا بحملة بعد عامين من تلك الحملة الفاشلة فتمكن من إخضاعها وقمع سكانها[4].

د. **صفاقص**[5]: رفض أهل صفاقص الخضوع لشارلكان بعد احتلاله لتونس لأنهم كانوا موالين للعثمانيين.

هـ. **المنستير**[6]: استولى عليها أندري دوريا سنة 1539م وترك بها جنودا بقيادة الحسن الحفصي الذي اصطحبهم عندما زحف نحو القيروان، لكنهم لم يكملوا مهمتهم بالمنستير وغادروا في ماي 1541م، ما جعل العثمانيين يبسطون نفوذهم عليها مرة أخرى[7].

---

[1]- عمار بن خروف: **"نظرة إلى العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574مإلى 1671م"**، مجلة دراسات انسانية، دت ، الجزائر، ص97.

[2]- مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص ص63-64.

[3]**– سوسة:** مدينة بناها الرومان على ساحل المتوسط تبعد عن تونس ب 100 ميل. ينظر إلى الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص 455.

[4]- مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص66.

[5]**– صفاقص:** مدينة قديمة على ساحل البحر المتوسط، كبيرة لها اسوار عالية ومنيعة. ينظر إلى الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص460.

[6]- **المنستير:** مدينة قديمة بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، تبعد عن تونس ب 12ميلا، لها أسوار عالية وقوية. ينظر إلى الحسن الوزان: **المصدر السابق**، ج2، ص456.

[7]- مارمول كاربخال: **نفسه**، ج3، ص67.

المبحث الثالث– دور الدولة العثمانية في تحرير تونس:

أولا: إسهامات درغوث باشا في مواجهة الاسبان:

كان درغوث باشا[1] ينشط في السواحل التونسية الشرقية وحتى الجنوبية بعد هيمنة الاسبان عليها ،كان ذلك بعد حصوله على ثقة خير الدين باشا خاصة بعد غزو جربة وحلق الوادي، إلا أن شارلكان تضايق من نشاط درغوث وهجوماته، لذلك أمر أندري دوريا بالقبض عليه. فقام القرصان الإيطالي الشهير جانتين دوريا(Gannetino Doria) (وهو من أقرباء أندري دوريا) بسواحل كورسيكا في (947هـ/15جوان1540م)، وكان هذا الأخير من المجدفين في سفن عائلة لوميليني (التي اشترته من دوريا)، فوقع أسيرا لمدة أربع سنوات إلى أن تم افتداه من طرف السلطان العثماني خير الدين بثلاثة آلاف دوقة عام (950هـ/1543م) وذلك من خلال التنازل لعائلة لوميليني عن جزيرة طبرقة التونسية) (حيث كان لخير الدين الدور الأهم في تحرير درغوث عند التقائه بأندري دوريا في ميناء طولون وأجرى معه اتصالات بشأن ذلك[2].

1– مقاومة درغوث باشا للإسبان وخروجهم من الساحل الشرقي لتونس:

بعد ما استعاد درغوث حريته، كلفه خير الدين برئاسة جميع سفنه في البحر الابيض المتوسط سنة (951هـ/1544م) متخذا جربة مركزا له، فبدأت عمليات غزوه من سواحل نابولي، ليطرد الاسبان من سوسة والمنستير وصفاقص، وفي عام (953هـ/ 1546م)[3]، اشترك في الحملة البحرية بقيادة السلطان العثماني على جزيرة مالطة، وبفضل براعته القتالية وشجاعته الفائقة استطاع ردع

---

[1]– **درغوث باشا**: ولد درغوث بن علي بجزيرة رودس حوالي سنة 1485م، نشأ وتربى على الحياة الإسلامية، وشبّ على حياة الفروسية والمغامرة في البحار مع الأساطيل البحرية العثمانية. وفي 1533م، ذُكر بين البحارة العثمانيين الذين كانوا يهاجمون سفن البندقية في بحر إيجه، عيّن حاكما على طرابلس سنة 1556م. ينُظر بوعزيز: مقاومة جربة ...، **المرجع السابق**، ص63.

[2]– بوعزيز: مقاومة جربة...، **المرجع السابق**، ص63.

[3]– مروش: **المرجع السابق** ، ج2، ص 113

الأوربيين، ورد هجماتهم على السواحل التونسية، وفي سنة (955هـ/ 1548م) قام بمهاجمة سفينة تحمل خزينة فرسان مالطا، والتي كان على متنها حوالي 20 ألف دوقة ذهبية[1]. وبعد ادراك درغوث باشا لخطورة فرسان القديس يوحنا في المنطقة، قام بتقديم هدية ثمينة للسلطان أحمد الحفصي بهدف حمايته من أي اعتداء، وبعد مغادرته تونس قام السلطان بتزويده بالمدافع والذخيرة والعتاد البحري، والمواد الغذائية[2].

2- المهدية في أيدي الاسبان (959هـ/ 1551م):

بعدما التحق درغوث باشا بالمهدية سنة(958هـ/ 1550م)، والتي اعتبرها منطلق غاراته ضد القراصنة الأوربيين عامة والاسبان خاصة[3]. واستطاع أن ينجح في إنشاء مملكة شبه بحرية على الساحل التونسي، عزم شارلكان على وضع حد للعمليات التي كان يقوم بها درغوث باشا، فسير حملة ضد مدينة المهدية بقيادة الدون خوان دي فيجا سنة (959هـ/ 1551م)[4]. فلما علم درغوث باشا بأمر الحملة ضاعف الهجومات البرية والبحرية، وذلك من خلال مساعدة الأسطول الجزائري في هذه الحملة[5].وفي (959هـ/10سبتمبر1551م) وبعد الهجوم القوي على المهدية من طرف الاسبان، والتي سقط فيها حوالي 1200 شهيد، وأسر 9 آلاف خلال فترة الحصار الذي دام ثلاثة أشهر سقطت المدينة في أيدي الاسبان[6].

ثانيا: الجنوب التونسي تحت قبضة درغوث باشا:

---

[1]- جون وولف: **المرجع السابق** ، ص 65

[2]- سي يوسف: **قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1988م، ص 66.

[3]- بوعزيز: مقاومة جربة...، **المرجع السابق**، ص63.

[4]- مارمول كاربخال: **المصدر السابق**، ج3، ص 74.

[5]- مروش: **المرجع السابق** ، ج2، ص 114.

[6]- روسو: **المرجع السابق** ، ص 94.

1- قفصة والقيروان تحت سيطرة درغوث:

أ) **قفصة (964هـ/1956م)**:في سنة (959هـ/ 1551م) خرج درغوث باشا من المهدية متوجها إلى قفصة ليتخذها مركزا لقواته لكن أهلها منعوه من دخولها، فاتجه بعدها إلى جربة[1]، ومن جربة اتجه إلى قابس حيث استقر بها، وبعد تمركزه بها أخذ يجمع المراكب وبدأ يستعد لمحاربة الاسبان، وفي سنة (957هـ/ 26 ديسمبر 1550م) اتجه إلى قفصة محاولا اقتحامها والسيطرة عليها لينال ما يصبو إليه وفتحها سنة (964هـ/ 20 ديسمبر 1556م)[2].

ب) **القيروان (966هـ/ 1558م)**: بعد الانتصارات التي حققها درغوث باشا في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط أكسبته شهرة عالية بين أهالي تونس، مما دفع بسكان القيروان الاستنجاد بهم لتخليصهم من التسلط والقهر الذي كانون يعانونه من الشابيين، وبذلك انتهز درغوث الفرصة ليستولي على القيروان بعدما قتل قائدها محمد بن الطيب الشابي[3]، وذلك سنة (966هـ/ 1558م)، لتتحول بعد ذلك القيروان وقفصة إلى قاعدتين ومركزين للقوات العثمانية ضد الاسبان[4].

2- السيطرة المسيحية على جربة[5]:

أ) **جربة مستعمرة اسبانية:** في سنة (959هـ/ 1551م) تحرك الأسطول الاسباني متجها نحو جربة، أين وافاه درغوث باشا بحوالي 1500 شخص[6].وقد باغت أندري دوريا درغوث بمحاصرته في

---

[1]- إيفانوف: **المرجع السابق** ، ص 253.

[2]- الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تع: محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، سراس للنشر، تونس 1993م، ص 66.

[3]- روسي: **المرجع السابق**، ص 192.

[4]- الهادي الشريف: **المرجع السابق**، ص66.

[5]- جربة: بفتح أولها ثم السكون والباء موحدة خفيفة، قرية بالمغرب الأقصى ذكرت كثيرا في كتاب الفتوح، وجربة بكسر الجيم هي جزيرة بالمغرب ناحية افريقيا قرب قابس يسكنها البربر. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي: **المرجع السابق**، ص118.

[6]- التميمي: الولايات العربية...، **المرجع السابق**، ص 76.

الميناء، لكن درغوث استطاع أن يفلت بأسطوله إلى عرض البحر، ليستولي بذلك على المركب القادم لدعم دوريا[1].

وبعد إفلات درغوث من حصار جربة فر ملتجأ إلى القسطنطينية، أين لقي ترحيبا من السلطان العثماني وذلك من خلال تزويده له بالمؤن لاستعادة المدن المفقودة من أيدي المسيحيين، وفي سنة (954هـ/ 1551م) تم نقض الهدنة التي كانت مبرمة بين الاسبان والعثمانيين[2].

ب) جهود درغوث باشا في تحرير جربة:

في سنة (966هـ/ 1558م) قام درغوث بإحكام قبضته على جربة، وأخذ يواجه الأوروبيين في الموانئ الايطالية، الذين لم يرضوا بذلك وأخذوا يفكرون في كيفية الرد على ذلك الغزو[3]، وفي سنة (969هـ/ 10 فيفري 1560م) انطلق الأسطول المسيحي متجها نحو جربة، أين جرت معركة ظافرة ضد العثمانيين، فتمكنوا من خلالها السيطرة على القلعة التي شيدوا بها حصنا[4]، وبعد سماعهم بتحرك الأسطول العثماني غادروا الجزيرة، أين داهمهم بيالي باشا بأسطوله فأغرق منهم ثلاثين سفينة وأسر رجالهم[5]. وبعد الهزيمة التي تلقاها الأسطول المسيحي، قام درغوث وبيالي باشا بحصار الحامية المسيحية المتواجدة بالقلعة، التي كانت قد حاولت فك الحصار المفروض عليها ، لكن دون جدوى بسبب عدم تلقي الدعم، فقررت الاستسلام [6].

---

[1]- روسي: **المرجع السابق**، ص 207.

[2]- سي يوسف: **المرجع السابق** ، ص 69.

[3] Fernand Braudel: **«Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 -1577»**, R.A, t 69, 1928, p393.

[4]- روسي: **المرجع السابق**، ص 224.

[5] -Ernest Charrière, **: Négociations de la France dans le levant,** Extrait de la correspondance de Rome et de Venise ,4t , Paris , (1848-1860), t2, pp165-154.

[6]- روسي: **المرجع السابق**، ص 225.

خلاصة الفصل:

مما سبق نستنتج:

- توجه خير الدين الى تونس سنة 1534م لعدة أسباب أهمها استنجاد الرشيد بالدولة العثمانية وكذا لموقعها الجغرافي لان انضمامها يعتبر مشروع مكمل لانضمام الجزائر وبذلك السيطرة على السواحل الافريقية والقضاء على النفوذ الاسباني.
- لم يقبل الحفصيون بانضمامهم للدولة العثمانية في أي وقت من الأوقات لأنهم كانوا يرون انفسهم أحق من يحكم تونس ويمثل الخلافة الإسلامية فيها.
- لم يمض كثيرا على ضم خير الدين تونس للدولة العثمانية حتى قام شارل الخامس بحملة ضخمة عليها سنة 1535م، ما دفع بخير الدين إلى التراجع للجزائر.
- لم يكن الهدف من حملة شارلكان القضاء على السلطة الحفصية في تونس بل تثبيتها تحت الحماية الاسبانية، وكذا القضاء على النفوذ العثماني في المنطقة والذي يهدد مصالحها.
- السلطة الحفصية خيبت آمال التونسيين بتواطئها مع الاسبان واستنجادها بهم من أجل بقاء عرشهم، بالرغم ما فعله هؤلاء من نهب وحرق للمقدسات الاسلامية وارتكاب ابشع جرائم الإنسانية بسبب الحقد الصليبي الذي يحملونه.
- تمثلت العلاقات بين تونس واسبانيا خلال تلك الفترة بالتبعية المباشرة، خاصة بعد فرض الاسبان الحماية على الحفصيين وتوقيع الحسن الحفصي على معاهدة الاستسلام والتي احتوت على شروط قاسية ومذلة له وللتونسيين والذي قبلها طمعا في استرداد ملكه.
- بعد تحرير طرابلس من هيمنة فرسان القديس يوحنا والاسبان عمل درغوث باشا على تحرير تونس وكذا السواحل الشرقية والجنوبية.
- تمكن درغوث باشا من ضم معظم الأراضي التونسية كقفصة وصفاقس والمهدية... ولم يبق سوى تونس وبنزرت التي كانت تحت الحكم الحفصي وحلق الوادي الذي استطاع الاسبان تحصينه جيدا.
- استطاع درغوث باشا القضاء على الثورات والتمردات الداخلية كثورة الشابيين في القيروان وغيرها.

الفصل الثاني

معركة تونس–حلق الوادي 982هـ/ 1574م

(الظروف والأسباب)

المبحث الأول–قلج علي يقود الحملة على مدينة تونس(977هـ/1569م)

أولا– استعدادات قلج علي الحربية

ثانيا– السيطرة على مدينة تونس(تحريرها)

ثالثا– قلج علي يحاول تحرير حلق الوادي

المبحث الثاني– الدون خوان النمساوي يوجه حملة على تونس(الحملة الإسبانية الثانية على تونس 981هـ/ 1573م)

أولا–أثر(نتائج) معركة ليبانت على أوروبا والدولة العثمانية

ثانيا– أهداف الدون خوان في تونس

المبحث الثالث– معركة تونس–حلق الوادي(المسببات والاستعدادات)

أولا– أسباب ودوافع معركة تونس – حلق الوادي

ثانيا– الاستعدادات العسكرية العثمانية والإسبانية للمعركة

خلاصة الفصل

تمهيد:

بعد أن ترك شارلكان الحسن الحفصي سنة 1535م حاكما على تونس ظلت هاته الأخيرة تعيش حالة من الاضطراب والفوضى، كما قام ابنه احمد الحفصي بالثورة عليه واخذ عرشه منه لكن هذا الأخير لم يكن يحبه الأهالي التونسيون مثل ابيه بسبب خيانته و تبعيته للإسبان الذين قتلوا ونكلوا بهم، مما دفع اعيان تونس الى بعث وفد الى السلطان العثماني سنة1563م للاستنجاد به وطلبوا تخليصهم من الاسبان ومن الحسن الحفص وابنه احمد[1] التابعين لهم، بعث لهم قلج علي سنة 1569م الذي كان حاكما لطرابلس بعد موت درغوث باشا فحاول تحرير حلق الوادي وتونس لكن لم ينجح لعدة أسباب منها هزيمة الاسطول العثماني في معركة ليبانت 1571م وكذا الحملة الاسبانية الثانية بقيادة الدون خوان النمساوي سنة 1573م، لكن استطاع في الأخير بمساعدة سنان باشا التحضير لحملة ضخمة سنة1574م استطاعت ان تغير تاريخ تونس للأبد.

المبحث الأول–قلج علي[2] يقود الحملة على مدينة تونس(977هـ/1569م):

كان لقلج علي عدة بطولات فقد شارك وقاد عدة حروب ضد الإسبان، وفي 1551م أصبح من أكبر الرياس الذين قدمهم درغوث باشا للسلطان سليمان القانوني[3]، وهذا بعد مساهمته الكبيرة في تحرير طرابلس سنة 959هـ/1551م، كما قام بصد الهجوم على جربة سنة 960هـ/1560م الذي قام به الإسبان، وهذا بعد أن تردد قائد الأسطول العثماني "بيالي باشا"، مما

[1]– **أحمد الحفصي**: أبو عبد الله محمد بن الحسن هو آخر السلاطين الحفصيين نصّبه الإسبان على العرش الحفصي عام 1573 بعد أن رفض أخوه مولاي أحمد الشروط التي وضعوها لمساعدته على استرجاع ملكه من الأتراك العثمانيين، وقبلها أبو عبد الله محمد فنصبه الإسبان على العرش بعد افتكاكهم لمدينة تونس واستمر في الحكم تحت الحماية الإسبانية إلى أن افتكها منهم سنان باشا عام 1574. للمزيد ينظر: ابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص 175–176.

[2]– **قلج علي**: ولد بمنطقة كالاباريا في جنوب إيطاليا وكبر فيها لكنه أسر في إحدى غزوات خير الدين وهو صبيا، أحب البحار منذ طفولته كان زملائه يسخرون منه وينادونه بالفرطاس، لقب بالعلج علي بع اسلامه، ونظرا للتسامح الديني الذي عوملت به هذه الفئة، ارتقى إلى مناصب رفيعة في فترة وجيزة، تميز بالصدق والشجاعة ما أهله لتولي إمارة تلمسان. ينظر: منور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص138. **وينظر** لصورة علج علي، **ملحق رقم7**.

[3]– المنور مروش: **المرجع السابق**، ج2، ص 138.

دفع قلج علي إلى استغلال الوضع وشن هجوما فوريا ألحق بالإسبان هزيمة كبيرة وكبدهم خسائر فادحة[1]، حيث أعجب درغوث باشا بشجاعته فكافأه السلطان العثماني على هذه الشجاعة والجرأة وعينه بايلربايا على طرابلس الغرب بعد استشهاد درغوث باشا ، وبقي فيها مدة سنتين[2]، وكان قلج علي باشا يعرف جيدا أهمية تونس ويتابع ما يجري فيها من أحداث، لذلك أعد جيشا وقرر التوجه إلى تونس من أجل طرد الإسبان منها، لكن عندما تولى قلج علي الحكم في طرابلس الغرب تغيرت العلاقات بين طرابلس والسلطان الحفصي أحمد الذي كان متخوفا من سياسة قلج علي، وقد ذكر ابن أبي دينار بأنه: " **كانت بين السلطان أحمد وعلي باشا ضغائن في النفوس من وقت استخدامه بمدينة طرابلس**"[3].

في (976/01/14هـ-1568/08/08م) أسند إلى قلج علي منصب بايلرباي الجزائر، فقام بتطبيق القانون بصرامة وفرض النظام وضبط الاستقرار للسكان، وكذا رمم القلاع والحصون[4]، كما عمل قلج علي على تنفيذ مشروع أكبر وخطير وهو إعادة الحكم الإسلامي في إسبانيا وتحرير الشمال الإفريقي من الخطر الصليبي، فوجه اهتمامه إلى الأسطول البحري أكثر من غيره، وصار محط قلق ورهبة لدى الأوروبيين[5].

أولا– استعدادات قلج علي الحربية:

اهتم قلج علي بتسليح البحارة وتدريبهم على الأسلحة النارية الحديثة، ما زاد من مكانته لدى الأجانب، حتى البابا نصح فيليب الثاني ملك إسبانيا بأن يقوم بإغرائه، وذلك بمنحه راتبا ضخما مع لقب كونت أو ماركيز أو دوق وغيرها من ممتلكات العرش ويتوارثها نسله من بعده، كان

[1]– يحي بوعزيز: **مقاومة جربة....، المرجع السابق**، ص 69.

[2]– نيقولاي ايفانوف: **الفتح العثماني...، المرجع السابق**، ص 192.

[3]– ابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص194.

[4]– شوقي عطا الله الجمل: **المغرب العربي الكبير**، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977، ص100.

[5]– شارل أندري جوليان: **تاريخ افريقيا الشمالية**، تع محمد مزالي والبشير بن سلامة، 3ج، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1983، ج2، ص102.

البابا يعرف أن هذه المحاولة لن تنجح لكن على الأقل تثير شكوك السلطان العثماني عليه، وبالفعل هذه المحاولة باءت بالفشل مما أغضب قلج علي بدل أن تقربه[1].

كان السلطان أحمد بن الحسن الحفصي أول من راسل العثمانيين وطلب النجدة منهم، لأن هذا الأخير لم تكن له سياسة قادرة على كسب تأييد أهالي تونس والتي لم تختلف عن سياسة أبيه الحسن، كما قام أعيان تونس وكبارها بمراسلة البايلرباي "قلج علي" طالبين منه إنقاذهم من ظلم السلطان مولاي أحمد وطلبوا الدعم لإسقاطه من العرش ووعدوه تسليمه حكم تونس[2].

لقد خضعت البلاد التونسية للزعامات المحلية التي تتأرجح بين الدفاع عن مصالحها الاقتصادية وبين الموالاة للسلطة الحفصية اسميا، فالبلاد كانت تعاني من اختناق اقتصادي بفعل الحروب وغارات القبائل على بعضها وكذلك الضرائب المجحفة التي كانت تفرضها الدولة الحفصية، وهذا ما جعل الأتراك العثمانيين يسعون إلى استعادة تونس نظرا لموقعها الاستراتيجي في الصراع المشتد بين العثمانيين والإسبان في البحر المتوسط، فقام قلج علي بالاستيلاء على مدينة المهدية[3]، بالرغم من انشغاله بمتابعة وتدعيم المسلمين في غرناطة تطبيقا لأوامر السلطان العثماني[4].

في بداية سنة 977هـ/1569م، راسل أعيان تونس قلج علي وأخبروه بضرورة تحرير تونس، فقرر مهاجمتها لانشغال الإسبان في إخماد ثورة المورسكيين من جهة وتخليص أهلها منهم من جهة أخرى[5]، لكن كان هناك أسير بالجزائر اسمه "هيرونونيمو ديموندوزا" قد أعلم بلاده عن التحضيرات القائمة من قبل قلج علي، ويذكر أيضا أن الملك فيليب الثاني تلقى رسالة ثانية تؤكد هذه الأخبار،

---

[1]– عزيز سامح إلتر: **المرجع السابق**، ص273.

[2]-Haedo Diego, op, cit, p141.

[3]– عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية...**، **المرجع السابق**، ص93.

[4]– الأرشيف الوطني الجزائري: **مهمة دفتري** رقم 09، حكم رقم 231، ص136، بتاريخ 977/10/23هـ/ 1570م.

[5]– أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492هـ/ 1792م)**، ط1، دار البصائر، الجزائر 2007م، ص 372.

مما دفع هذا الأخير إلى إعطاء تعليمات مستعجلة إلى حاكم حلق الوادي " الدون ألونسو بيمونتيل" تقتضي منه الحذر والترقب لأي هجوم من طرف الجزائر[1].

ثانيا– السيطرة على مدينة تونس(تحريرها):

في سنة (977هـ/ أكتوبر 1569م) توجه "قلج علي" إلى تونس بعد أن ترك " مامي قورصو " خليفة له في الجزائر وأخذ معه جيشا يتكون من 5000 جندي، وفي طريقه مر بعنابة ومنطقة القبائل وقسنطينة، حيث انضم إليه حوالي 6000 رجل من المتطوعين، كما أخذ معه 10 مدافع[2]، وفي طريقه قام بعزل الشيوخ القدامى وعين محلهم قوادا عثمانيين، كما قام بتحصين المدن التي مر عليها، ولما علم "أحمد الحفصي" خرج للإيقاع "بقلج علي" خارج المدينة رفقة 30000 رجلا، والتقى الجيشان في مدينة "باجة" في أكتوبر 977هـ/1569م، يذكر أن معظم قادة الجيش الحفصي هم من طلبوا من "قلج علي" القدوم إلى تونس من أجل إنقاذهم، ومنذ اللحظات الأولى للقتال تخلوا عن مولاي أحمد وانتقلوا مع جنودهم إلى صف "قلج علي"، والتحقت "فرقة الزمازمية" بالجزائريين ما دفع السلطان الحفصي إلى الهروب[3]، وتفاجئ "قلج علي" بفيضان (وادي مجردة) الذي منعه من العبور، فاستنجد بأهل "بنزرت" الذين قاموا بتوفير الألواح والقناطر واصطناع الجسور لعبور الجيش[4].

تتبع "قلج علي" أثر السلطان أحمد إلى أن وصل إلى منطقة "سيدي الحطاب" فتواجه الجيشان مرة ثانية وانهزم هذا الأخير مرة أخرى[5]، ثم فر هاربا إلى تونس لكنه وجد الأبواب موصده في وجهه، بعدها توجه إلى قلعة حلق الوادي وطلب العون من الإسبان لاسترجاع ملكه[6].

---

[1]– محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص91.

[2]– عزيز سامح التر: **المرجع السابق**، ص228.

[3] -Henri De Grammont, op , cit, p107.

[4]– الوزير السراج الأندلسي: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تق وتح. محمد الحبيب الهيلة، 3ج، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985م، ج2، ص211.

[5]– **نفسه**، ص211

[6]– عمار بن خروف: **نظرة إلى العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس...**، **المرجع السابق**، ص22.

ولما وصل قلج علي إلى تونس دخلها دون مقاومة وأخذ البيعة في رجب 977هـ/1569م من الأهالي وأعلنت الخطبة بالدعاء له على المنابر، وضربت السكة باسمه، ودخل تحت إمرته بعض القبائل مثل "الزمازمية"[1]، وذكر ابن الضياف أن فرسان الزمازمية جاءوا وقالوا له: **"نحن خدام سلطاننا، دافعنا عنه بقدر استطاعتنا ولا مرد لحكم الله، فإن شئتم أبقيتمونا في بلادنا، وإن شئتم نتصرف وأرض الله واسعة"**، فرد عليهم "قلج علي" قائلا:" **قد فعلتم ما وجب عليكم من النصح والمدافعة عن سلطانكم فأنتم الآن من جماعتنا"**[2].

بعد أن قام قلج علي بإخضاع المدن الداخلية والساحلية، عمل على ضبط الأمن وتنظيم أمور البلاد وترك خليفته "رمضان باشا" حاكما عليها وهذا ما تضمنه فرمان السلطان العثماني الذي يحتوي على إعادة تعيين "رمضان باشا" على إيالة تونس وهذا عند رغبة أهالي وأعيان تونس بتزكيته لدى السلطان، ويأمره بأن يضبط الأمن والاستقرار فيها ومعاملة سكانها باللين[3]، وقد ترك بها قلج علي جيشا يتكون من 5000 جندي[4]، وقد كان هدفه من ترك كل ذلك الجيش هو ضمان الاستقرار في البلاد وتهدئة الأوضاع والأهم حماية نواة الإيالة العثمانية الجديدة[5]، وبهذا أضحت تونس إيالة عثمانية.

ثالثا– قلج علي يحاول تحرير حلق الوادي[6]:

---

[1]– **الزمازمية:** هم فرقة من أولاد سعيد، كتيبة صغيرة أوكلت لها مهمة حراسة فحوص العاصمة. ينظر: رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص124.

[2]– ابن أبي الضياف: **المرجع السابق**، ج2، ص19.

[3]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 12، ص541، بتاريخ: 25شوال 979هـ/ 11مارس1572./ عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية...**، **المرجع السابق**، ص197.

[4]– محمد سي يوسف: **المرجع السابق**، ص91.

[5]– عبد الجليل التميمي: **الولايات العربية...**، **المرجع السابق**، ص95.

[6]– **حلق الوادي:** لكونها لسانا بحريا يصل تنس بالبحر استمدت اسمها، وتفصله مرتفعات من قرطاج.. للمزيد ينظر: ج.آو هابنسترايت: **رحلة العالم الألماني هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ/1732م)**، تر: ناصر الدين سعيدوني، دط، دار الغرب الإسلامي، تونس، دس، ص114.

عزم قلج علي على تحرير وتطهير السواحل التونسية من الإسبان، الذين يعتبر وجودهم المستمر في حلق الوادي تهديدا كبيرا على مدينة تونس لأنهم يتحكمون في المدخل البحري للمدينة فبعث إلى "مامي قورصو" بالجزائر وأمره بتجهيز الأسطول قبل وصوله إلى الجزائر لكنه كان عائدا إليها[1]، كما بعث للسلطان العثماني يطلب منه المساعدات للقضاء على الحصن الإسباني بحلق الوادي فبدونه تظل تونس مهددة وكذا الوجود العثماني بها فوافق السلطان على طلبه[2]. وفي طريقه استولى على 04 سفن مالطية كما قام بعدة معارك ضد السفن المسيحية، وسط كل هذا توجه العثمانيون إلى فرض حصار على قبرص بعد أن شهد الشرق المتوسط عدة تطورات، وهذا بعد أن تلقى قلج علي رسالة تنص على إنشاء أسطول جديد إلى جانب الأسطول الهامايوني يكون بقيادة الوزير "برتو باشا"، ويبين ذلك في الفرمان الذي بعث به السلطان:"... **ذكرت في رسالتك أنك جهزت الذخيرة وسائر المهمات الحربية بموجب الأمر المرسل إليك من أجل المكوث مع الأسطول الهمايوني... وزيري برتو باشا دام الله إجلاله"**[3]، يكون الجيش تحت إمرة بيالي باشا، سفينة تحمل 1000 جندي يقودها مصطفى باشا إلى قبرص.

المبحث الثاني– الدون خوان النمساوي[4] يوجه حملة على تونس(الحملة الإسبانية الثانية على تونس 981هـ/ 1573م):

عندما علم السلطان العثماني بمخطط الإسبان في الهجوم على الجزائر وتونس معا أمر جميع أمراء تلك المناطق وما جاورها باتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة الإسبان والتصدي لأي هجوم جاء

---

[1] -De Grammont Henri , **op cit**, p107 .

[2]– سامح التر، **المرجع السابق**، ص229.

[3]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 16، ص24، بتاريخ 23 محرم 979هـ/ 17جوان 1571م./ عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق**، ص204.

[4]– **الدون خوان النمساوي**: هو ابن غير شرعي لشارل الخامس، ولد سنة1545م، عينه أخاه فيليب الثاني على رأس قيادة القوات التي اوكل اليها القضاء على ثورة مسلمي غرناطة سنة 1570م تولى الحملة الثانية لاحتلال تونس لكنه لم يظفر بها سنة 1573م. **للمزيد ينظر**: عبد القادر فكاير: **المرجع السابق**، ص272.

هذا القرار ضمن عدة فرمانات منها إلى "قلج علي" ومنها إلى الوزير "برتو باشا" وكذلك إلى "مراد بك" وغيرهم[1].

أولا–أثر(نتائج) معركة ليبانت[2] على أوروبا والدولة العثمانية:

في 979/05/17هـ/1571/10/07م دارت معركة طاحنة بين الأسطول الإسلامي بقيادة العثمانيين والأسطول المسيحي بقيادة الإسبان في خليج ليبانتو، حيث اشتد القتال ، وكانت الهزيمة من نصيب الأسطول العثماني هزيمة كبيرة قتل فيها أكثر من 30 ألفا من الجنود العثمانيين، إضافة إلى الأسرى الذين قطعت رؤوسهم، وأخذت 130 سفينة عثمانية[3]. وما إن وصل نبأ الانتصار في أوروبا حتى أقيمت حفلات كبيرة وفرحة عارمة فلأول مرة منذ أوائل القرن الخامس عشر تحل الهزيمة بالعثمانيين[4]، وتعتبر هذه نقطة انطلاق بالنسبة لأوروبا الغربية التي لم تجد قوة تجاريها وخاصة العالم الإسلامي.

---

[1]– للاستزادة حول الموضوع ينظر إلى: الأرشيف الوطني الجزائري:

–**مهمة دفتري** رقم 10، حكم رقم 06، ص04، بتاريخ 979/01/02هـ.

– **مهمة دفتري** رقم 10، حكم رقم10، ص08، بتاريخ979/01/02هـ.

– **مهمة دفتري** رقم 10، حكم رقم 22، ص19، بتاريخ979/01/02هـ.

– **مهمة دفتري** رقم 10، حكم رقم 19، ص17، بتاريخ979/01/12هـ.

– **مهمة دفتري** رقم 14، حكم رقم 284، ص200، بتاريخ979/02/03هـ.

[2]– **ليبانت**: تعرف عند الاتراك باسم اينه بختي، وهي مدينة تقع شمال المضيق الذي يؤدي من البحر الأيوني نحو خليج كورينت، والذي اصبح يعرف بخليج ليبانت منذ العصور الوسطى، خلال ق 13م وقعت بيد البنادقة وحاول محمد الفاتح افتكاكها اثناء حربه معهم سنة 1477م لكن لم ينجح، وفي 1499م فتحها بايزيد الثاني والذي انشأ بها قلعتين لحماية مدخل الخليج. للمزيد ينظر: بيشي رحيمة: **المرجع السابق**، ص127.

[3]– آسيا غزيل و منال مسعودة رزاق: **الصراع الاسباني العثماني خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، مذكرة لنيل شهادة ماستر تاريخ المغرب الحديث، قسم التاريخ، إشراف: بيشي رحيمة، جامعة غرداية، الجزائر، (1440–1441هـ/2019–2020م)، ص97.

[4]– أحمد إسماعيل الياغي: **الدولة العثمانية...، المرجع السابق**، 83.

أما بالنسبة للجانب العثماني فإن نتيجة معركة ليبانت مخيبة لآمال العثمانيين بسبب تراجع قوتهم في البحر المتوسط، ومن أجل استرجاع مجدهم يجب عليهم التخطيط وتكوين حلف إسلامي يجاري الحلف الصليبي، ونظرا لجهود قلج علي وإخلاصه فقد استدعاه السلطان العثماني من أجل تنصيبه أميرالا للأسطول العثماني مع بقائه في منصبه الحالي وهو بايلرباي الجزائر وكذلك تفويضه لحكم إيالة تونس أيضا[1].

ثانيا– أهداف الدون خوان في تونس:

بعد معركة ليبانت 1571م أصيب الدون خوان دوتريش بالغرور بنصره في هذه المعركة، الذي قاد الأسطول الأوروبي لانتصار كاسح ضد الأسطول العثماني، فحاول استغلال وضعيته هذه وقرر الاستقلال بنفسه عن حكام أوروبا وإقامة مملكة خاصة به، فوقع اختياره على تونس، يستند في ذلك على بابا الكنيسة الكاثوليكية الذي قدم له كل الدعم والتشجيع[2]، ولأن الملك فيليب الثاني[3] كان يدرك أن احتلال الإسبان للسواحل الإفريقية يعتبر مجرد خسارة مالية وسياسية بالنسبة لمصالح الدولة الاسبانية، لكنه كان يراقب بحذر طموحات أخيه غير الشقيق الدون خوان، إلا أنه وافق على القيام بحملة على تونس سنة 981هـ/1573م، لأنه كان يتطلع إلى القضاء على الإيالة الجزائرية التي زادت قوتها ونفوذها وأصبحت تهدد المصالح الإسبانية في البحر المتوسط[4].

---

[1]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 12، ص571، بتاريخ 979/11/08هـ./ عبد الجليل التميمي، **المرجع السابق**، ص195.

[2]– طاهر التومي: **علاقات الايالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا ما بين1520– 1792**، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس،2019/2018م، ص324.

[3]– **فيليب الثاني**: ملك نابولي وحاكم هولندا، ليصبح بعدها ملك اسبانيا –1598م) بعد تنازل ابيه شارل عن الحكم له. للمزيد ينظر: نجيب الدكاني: **الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائري خلال ق10هـ/16م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001–2002م، ص126.

[4]– طاهر التومي : **المرجع السابق**، ص 324.

فاعتبر الدون خوان النمساوي هذا الوقت فرصة مناسبة وقرر التوجه نحو تونس، وهذا يظهر لنا من خلال الرسائل التي بعثها حكام الإيالات العثمانية للسلطان العثماني مثل رسالة بايلرباي طرابلس الغرب التي يخبره فيها بأن إسبانيا وحلفاءها (مالطة وصقلية) ينوون القيام بحملة ضد تونس[1]. وكذلك رسالة السلطان للوزير "برتو باشا" يأمره بتجهيز الأسطول والتصدي للأسطول الإسباني[2]، كما أمر بايلرباي الجزائر بأن لا يتأخر بتوجيه العساكر إلى تونس وأخذ الحيطة والحذر وتقديم المساعدة[3]، ورسالة أخرى بعثها إلى القائد رمضان باشا المعين على محافظة تونس يأمره بأن يعلم الأهالي بقدوم الأسطول الهامايوني إلى تلك الجهات ويستعدون من أجل تقديم الزاد والعتاد[4].

ثالثا– الدون خوان يحكم قبضته على تونس:

في أكتوبر 1573م خرج الدون خوان ليقود حملة بحرية من أجل احتلال تونس، تشبه الحملة التي قادها أبوه سنة 1535م، كانت الحملة ضخمة تتكون من حوالي 138 سفينة، وبارجة حربية، وعدد من سفن النقل، والغيلوطات وغيرها التابعة للخواص[5]، كما تألفت من 13000 جندي إيطالي، و9000 جندي إسباني، و5000 جندي ألماني، وكان أسطوله يتكون من 107 سفينة حاملة للجنود و31 سفينة حربية[6].

---

[1]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 10، ص04، بتاريخ 979/01/17هـ./ عبد الجليل التميمي: **المرجع السابق**، ص189.

[2]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 10، ص12، بتاريخ 03 صفر979هـ، عبد الجليل التميمي، **المرجع السابق** ، ص190.

[3]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 21، ص220، بتاريخ 980/11/21هـ، عبد الجليل التميمي: **المرجع السابق**، ص215.

[4]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 21، ص226، بتاريخ980/12/21هـ، عبد الجليل التميمي: ، **المرجع السابق** ، ص215.

[5]– الشافعي درويش: **علاقات الايالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن (10هـ/16م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2010–2011م) ، ص126.

[6]– إبراهيم سعيود: **المرجع السابق**، ص91.

وفي 11 أكتوبر 1573م وصلت القوات الإسبانية إلى مدينة تونس[1]. بعد أن مرت على حلق الوادي، فوجدها مهجورة من سكانها الذين خافوا منهم، ويذكر ابن أبي دينار أنه:" **لما علم أهل تونس بمجيئه، هربوا من البلد خيفة من هول الأربعاء ولجأوا إلى ناحية جبل الرصاص، واختفوا هناك في الدواميس، وهذه الواقعة يعبر عنها بمخطرة الدواميس**"[2].

لما ظفر الدون خوان بتونس واستقر بها نهائيا قام بتنصيب مولاي أحمد الحفصي سلطانا وفرض عليه شروطا مذلة وقاسية، وبذلك أصبح فاقدا للشرعية لأنه نصب من طرف الإسبان حيث أن الدون خوان جرده من كامل سلطته وجعله تابعا لعرش الملك الإسباني، وأمام هذه الوضعية المخزية التي لم يستطع تحملها، تنازل عن العرش لأخيه محمد بن الحسن الذي قبل أن يخضع للإسبان ويشاركه في الحكم: الحاكم "غابريال سيربلوني"[3]، وقد قام الدون خوان بتحصين قلعة تونس وقلعة حلق الوادي من أجل تعزيز مركزه على السواحل الإفريقية بدلا من هدمها، أما قلعة الباستيون فقد كانت تقع خارج باب البحر من مدينة تونس على شكل مدينة أوروبية أطلق عليها اسم "شيكلي" بناها وعمرها وأسكن فيها الإسبان، بها بناءات من الخشب وآبار للمياه ومخازن للمؤونة ومطاحن للقمح ومخازن للأسلحة ومعامل الحدادين، ومستشفى وصيدلية وكنيسة[4].

وكان هذا هدف الدون خوان من إنشاء مملكة خاصة به في تونس والذي يخالف في ذلك رغبة فيليب الثاني التي أمره بوجوب تحطيم تلك التحصينات خوفا من استيلاء المسلمين على حلق الوادي والانتفاع بتلك الحصون والقلاع[5]، لكن الدون خوان جعل حصن حلق الوادي تحت قيادة "بورتو كاريرو" ثم عاد إلى إسبانيا بعد طلب أخيه فيليب الثاني الذي لم يعجبه عدم امتثاله لأوامره[6].

---

[1]– الشافعي درويش: **المرجع السابق**، 126.

[2]– ابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص197.

[3]– طاهر التومي: **المرجع السابق**، ص ص295–296.

[4]– رحيمة بيشي: **المرجع السابق**، ص133.

[5]– إبراهيم سعيود: **المرجع السابق**، ص93.

[6]– نعيمة بوحمشوش: **المرجع السابق**، ص251.

المبحث الثالث– معركة تونس–حلق الوادي(المسببات و الاستعدادات):

أولا– أسباب ودوافع معركة تونس – حلق الوادي:

1– رغبة السلطان العثماني في تحرير تونس:

لقد أصر السلطان العثماني سليم الثاني على تحرير تونس وضمها للدولة العلية لذا فقد بعث وأصدر الأوامر إلى حكام الجزائر وطرابلس الغرب والقيروان يحثهم على الاستعداد لتحرير تونس ويذكرهم بأهمية تونس بالنسبة للدولة العثمانية[1].

2– ربط ممتلكات الدولة العثمانية وتخفيف الضغط على الجزائر:

شكلت تونس عبئا ثقيلا على الجزائر، لأن قوات الجزائر كلها مجندة من أجل تحريرها من الإسبان ولأنها كانت تمثل عائقا وراء توحيد إيالتي الجزائر وطرابلس الغرب وكذا ربطهم بممتلكات الدولة العثمانية بمصر خاصة والمشرق الإسلامي عامة.

3– إعادة الاعتبار للأسطول العثماني:

أراد السلطان العثماني رد الاعتبار لدولته وأسطوله الذي تضرر في معركة ليبانت 1571م ، وتبرز أن الأسطول مازال قادرا على حماية الدولة العلية، والحملة على تونس دليل على قدرته في مواجهة أعدائه، بالرغم من أضراره في المعركة[2].

4– فك التحالف الحفصي الاسباني:

قرر السلطان العثماني سليم الثاني وضع حد لإعادة التحالف الإسباني الحفصي مرة أخرى مثلما حدث مع شارلكان والحسن الحفصي سنة 1535م، والذي دام 16 سنة ذاق فيها التونسيون الذل والهوان.

---

[1]– الأرشيف الوطني الجزائري: **مهمة دفتري** رقم 21، ص 266، حكم رقم 637، بتاريخ980/12/16هـ.

[2]– طاهر التومي: **المرجع السابق**، ص297.

5– تدعيم حيدر باشا:

عندما علم السلطان العثماني بتقدم "حيدر باشا" بقواته بالموازاة مع تقدم "مصطفى باشا" حاكم طرابلس الغرب باتجاه تونس من أجل تحريرها، حاول استغلال الوضع وكان ذلك تزامنا مع قراره في تحرير تونس، وهذا ما زاد من عزيمتهما وقررا مواصلة العملية.

6– استغلال الأوضاع الداخلية لإسبانيا وأوروبا:

استغل فيليب الثاني فرصة بقاء المملكة البرتغالية دون وريث شرعي، حيث استولى هو على الحكم، وكلف الدون ألب بقتال المعارضين له، خاصة وأن النبلاء اشتكوا من تهميشهم ومن الضرائب المفروضة عليهم لهذا رفض البرتغاليون الاندماج مع إسبانيا، وبالرغم من ذلك فقد توحدت المملكتان وبذلك توسعت ممتلكات الإمبراطورية الرومانية من لشبونة إلى بروكسل إلى الدويلات الإيطالية وصولا إلى العالم الجديد، والتي كانت لها ميليشيات كاثوليكية وبدأت حرب المذاهب الكاثوليك ضد البروتستانت، هذا ما ولد العديد من المشاكل داخل إسبانيا وخارجها، وكانت الدولة العثمانية على مرأى من هذا، فأرادت استغلال تلك الأوضاع لصالحها وتسارع لتحرير تونس[1].

7– تطلع التونسيين لنصرة السلطان العثماني لهم:

تعرض الأهالي للظلم والجور وانتهاك ونهب لخيرات بلادهم من طرف الإسبان المتواجدين بحلق الوادي الذين تدعمهم الأسرة الحفصية الحاكمة صوريا فقط، لهذا فقد كانوا ينتظرون الفرصة لطرد الإسبان وعملائهم، عندها أدرك السلطان العثماني ذلك من خلال عيونه الذين نقلوا له تطلع السكان التونسيون لنصرتهم وتخليص بلادهم من هذه الوضعية[2].

ثانيا– الاستعدادات العسكرية العثمانية والإسبانية للمعركة:

1 – الاستعدادات العثمانية:

[1]– طاهر التومي: **المرجع السابق**، ص298.

[2]– طاهر التومي: **المرجع السابق**، ص299.

بعد أن تهيأت العديد من الأسباب والظروف قرر السلطان سليم الثاني تجهيز حملة عسكرية على تونس، فقد راسل الأقاليم العثمانية في بلاد المغرب ودعا قادتها بتجنيد المتطوعين وإلحاقهم بالقائد سنان باشا لنقلهم إلى حلق الوادي، وطلب من أحمد عرب باشا[1] ، الالتحاق بالأسطول العثماني، كما صدرت نفس الأوامر لبقية الأقاليم بتحضير الجنود والذخيرة والمؤن[2]، وأصدر سليم الثاني أوامره الأخيرة إلى وزيره سنان باشا قائد الحملة و القبودان قلج علي قائد الأسطول بالاستعداد للتوجه إلى تونس فنزلا في ساحل قرطاجة يوم 1574/07/13م، كما طلب المساعدة من حاكم طرابلس الغرب مصطفى باشا وحاكم القيروان حيدر باشا وحاكم الجزائر رمضان باشا إضافة إلى أحمد باشا لتحرير تونس نهائيا وإعادتها لنفوذ الدولة العثمانية[3].

جندت السلطة العثمانية للحملة عددا ضخما من المقاتلين، حيث تذكر بعض المصادر والمراجع أن عددهم وصل إلى 40000 مقاتل عثماني بقيادة سنان باشا وتدعم ب 3000 جندي من الجزائر، وهناك بعض المؤرخين قسموا عدد هذه القوات: والي طرابلس اصطحب 4000 جندي من أتراك الأهالي والأعراب.

تضمنت الحملة التي قادها سنان باشا على تونس صنفين من الجيش:

أ– **الجيش البحري**: تولى قيادة الجيش البحري العثماني " قلج علي" والذي تمثلت مهامه في القيام بالعمليات العسكرية البحرية محاصرا قلعة حلق الوادي وقطع عليها الامدادات العسكرية وملأها بقذائف المدافع وفرض حصارا بحريا على القلعة حتى لا يتمكن الإسبان من التزود بالعتاد والذخيرة وحتى المقاتلون.

---

[1]- **الباشا أحمد عرب**: عين كخليفة للبايلرباي قلج علي على إيالة الجزائر ،وذلك لتميزه بالشهامة والصلابة والعزم و الشجاعة وحسن التدبير ، و كان سابقا أمير لواء قوجة ايلي(محافظة تركية) . للاستزادة حول الموضوع ينظر الأرشيف العثماني:
- **مهمة دفتري** رقم 10 ص 179 تسلسل 266 في 19 شوال 979هـ/5 مارس 1572م.
- **مهمة دفتري** رقم 10 ص 183 تسلسل 269 في 19 شوال 979هـ / 5 مارس 1572م

[2]– محمد فريد بك المحامي: **المرجع السابق**، ص 109.

[3]– عزيز سامح التر: **المرجع السابق**، ص 251.

ب– الجيش البري: أوكلت قيادته إلى "سنان باشا" وهو القائد العام للحملة وضم في صفوفه الفرسان والمتطوعين من بقية المناطق الخاضعة للعثمانيين، وتمثلت مهامه في محاصرة الإسبان برا وتقديم الدعم اللوجستيكي للحلفاء إلى جانب القيام بالعمليات العسكرية لاقتحام المراكز العسكرية بتونس كحصن الباستيون وقلعة حلق الوادي[1].

ومن أجل الاستعداد الجيد لعملية الفتح أرسل السلطان العثماني تعليمات إلى الجزائر وطرابلس الغرب والقيروان بالاستعداد لاسترجاع تونس من قبضة الإسبان[2]، بالإضافة إلى مراسلات أخرى نذكر منها:

– وجه السلطان العثماني الرسالة الأولى إلى حاكم تونس حيدر باشا يعلمه فيها بالاستعداد الجيد وعن الأسطول المجهز للحملة ويطلب منه المساعدة بالرجال والسلاح والعتاد وغيرها، وهذه الرسالة جاءت كرد على الرسالة التي بعث بها مصطفى باشا يخبره فيها بسقوط تونس بيد الإسبان ويقول فيها:"...**ومن أجل فتح قلعة حلق الوادي بعناية الله تعالى، تم إعداد 300 سفينة مشحونة بعساكر المؤمنين وجنود الموحدين، وتعيين وزيري سنان باشا، قائدا لهذه الحملة، وسوف يتوجه قبطاني وسائر القادة والأمراء والانكشارية وأرباب التيمار والمحاربين المتطوعين، في أوائل محرم الحرام سنة 982، وعند وصول المشار إليه (سنان باشا) توجه أنت وأمير أمراء الجزائر وأمير أمراء طرابلس، لمحاصرة تونس أو بنزرت، وقد أرسلت الأوامر الشريفة بهذا الخصوص إلى المشار إليهم. لذا نأمرك بعدم التأخير والتوقف على الإطلاق، والتشاور مع الأمراء المشار إليهم، وأي قلعة يمكن الوصول إليها، تقومون بمحاصرتها، متفقين متحدين يدا واحدة، دون تفويت فرصة الفتح، وابذلوا كل أنواع الإقدام والاهتمام من أجل ذلك، ولحين قدوم أسطولي الهمايوني بعناية الله تعالى، أوصل الأمر الشريف والخلعة الهمايونية المرسلة إلى الشيخ علي لتحصل على استمالته وخدمته الطوعية إن شاء الله. وقد تقرر شموله بالعناية الهمايونية كل عام لذا ابذل جهدك في إرسال العساكر وإعداد الذخيرة ولا تقصر في**

[1]– عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **موسوعة المغرب العربي**، ج5، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر، ص84.

[2]- الأرشيف الوطني الجزائري: **مهمة دفتري** رقم 21، حكم رقم 637، ص 266، بتاريخ 980/12/16هـ.

السعي والاهتمام من أجل، عزة دين الإسلام[1]" ، وقد أرسلت نسخة منها إلى حاكم طرابلس والجزائر.

– الرسالة الثانية كانت موجهة لأحمد عرب باشا حاكم الجزائر، يخبره فيها السلطان العثماني بتعيين رمضان باشا حاكما في مكانه، كمكافأة له على مجهوداته التي قدمها في تونس، كما يطلب منه التوجه مع قواته البحرية إلى تونس ليلتحق بالأسطول الذي يقوده قلج علي ويكون تحت إمرته وجاء فيها:" **وليكن في خدمته أمير أمراء الجزائر السابق أحمد باشا، ثم ليلتحق به بسفينته القادرغه مع الأسرى الموجودين بها،.....، وما تحمله من أموال وأسرى، وتسلم جميعا للمشار إليه، وهو يتخذ ما يراه مناسبا. ومن جهة أخرى أرسل أهالي الجزائر رجلا إلى سدة سعادتنا، ذكر أن ولاة ذلك الجانب (الجزائر) يستحدثون بعض البدع، وبسبب ذلك لم يتحمل الأهالي ذلك، وهذا ما سببت وجههم إلى الأعداء. وعليه ترفع جميع هذه البدع. ومن أجل عدم الاعتداء على الناس، خلاف الشرع والقانون، فقد تقرر إرسال أمر سلطاني مستقل لكم. اعمل على الدوام بمضمون الأمر الهمايوني، وكن مجدا وكريما وشجاعا في تحقيق الأمن والأمان في البلاد والرفاهية والطمأنينة للعباد، وحفظ الولاية وحراستها كما ينبغي، ولا تقم بأي عمل مخالف للشرع والقانون بأي وجه من الوجوه، وكن متبصرا في أمور الدين والدولة، أيما تبصر!**[2]".

– أما الرسالة الثالثة فقد كانت موجهة إلى رمضان باشا حاكم الجزائر الجديد، يخبره بتجهيز أسطول يتكون من 300 قادرغة، ويأمره بالخروج مع بداية شهر محرم 982هـ/ أفريل 1574م من أجل فتح وتسخير حلق الوادي، كما يخبره أن قيادة الحملة تكون لسنان باشا ويساعده قلج علي قائدا للأسطول، وتأمره بالتعاون مع حاكم طرابلس وحاكم القيروان والمشاركة في الحملة إلى جانب سنان باشا عند وصوله إلى تونس وهذا نص منها: "**إن شاء الله تعالى في أوائل محرم الحرام سنة 982، تقرر فتح قلعة حلق الوادي، وأعددت لهذا الغرض 300 قطعة بحرية مرتبة ومكملة**

[1]– الأرشيف الوطني الجزائري: **مهمة دفتري** رقم 24، ص59، حكم رقم 166، بتاريخ 981/12/05هـ.

[2]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 24، ص59، حكم رقم 167، بتاريخ 981/12/05هـ./ عبد الجليل التميمي: **المرجع السابق**، ص226.

ومشحونة بالعساكر والقادة والأمراء وأرباب التيمار والمتطوعين، بقيادة قائد الأسطول الهمايوني وزيري سنان باشا، أدام الله تعالى معاليه، صحبة أمير أمراء الجزائر وسائر رؤساء البحرية و اللوند، وأنهم في أتم حال من الاستعداد والعزيمة على الحركة. وعند وصول أولئك إن شاء الله، كن أنت وأمير الأمراء السابق أحمد وأميري طرابلس وتونس على استعداد لتتحولوا نحو تونس وبنزرت لتعدوا اللوازم والمهمات الحربية والمقاتلين...والذين أمرك به، أنت تحرك بعساكر الجزائر من الفرسان والمشاة وطائفة الأعراب التابعة للجزائر، بكامل عددهم وعدتهم، وتلتقي بأميري تونس وطرابلس، وبالوجه المناسب الذي ترونه. ثم تتوجهوا نحو محاصرة تونس، أو بنزرت، وأيهما أنسب، باتحادكم واتفاق كلمتكم، واعملوا على فتحها وتسخيرها، باذلين أنواع الإقدام والاهتمام، لدى وصول أسطولي الهمايوني، التحقوا به[1]".

– والرسالة الرابعة وجهت إلى القادة والأمراء في سواحل البحر المتوسط، تدعوهم لمساعدة الرايس مامي الذي بعثه السلطان إلى المنطقة من أجل تجنيد المتطوعين والراغبين في الجهاد بهدف الحاقهم مع سفنهم إلى وزيره سنان باشا، وتأمرهم أيضا:" **بترغيب واستمالة المتطوعين في مناطقهم على الجهاد في سبيل الله...وإذا كان فيهم القادرين على بناء السفن فيجب مساعدتهم وتوفير اللوازم لهم لبناء القاليتات ويكونوا على أتم الاستعداد لنقلهم بسفنهم إلى حلق الوادي التي تم العزم على فتحها...**[2]".

– أما الرسالة الخامسة والأخيرة والمؤرخة بتاريخ 14 ذي الحجة 981هـ/ 06أفريل 1574م الموجهة لأمير أمراء الجزائر رمضان باشا يأمره بإرسال عساكر الجزائر للمشاركة في الحملة بعدد 1095 فارسا و1000 جندي انكشاري بكامل عدتهم وعتادهم[3].

2– الاستعدادات الإسبانية:

[1]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 24، ص 60، حكم رقم 168، بتاريخ 981/11/05هـ/1574/02/24م./ عبد الجليل التميمي: **المرجع السابق** ، ص ص225–226.

[2]– الأرشيف الوطني الجزائري: **مهمة دفتري** رقم 24، ص72، حكم رقم 198، بتاريخ981/12/05هـ.

[3]– الأرشيف الوطني الجزائري: **مهمة دفتري** رقم 24، ص ص91– 92، حكم رقم 246، بتاريخ 981/12/14هـ.

عندما علم الاسبان باقتراب الأسطول العثماني نحو تونس وأن الأتراك سوف يضربون حلق الوادي أولا، أمر بإرسال قوات عسكرية جديدة إلى حلق الوادي[1]، وفي 01 جويلية تلقى القائد الإسباني في تونس (سيريجيو سيربيلوني) خطابا من الكاردينال (غران فيل) يخبره باقتراب الأسطول العثماني وطلب منه الالتحاق بحلق الوادي واتخاذ الاحتياطات الدفاعية اللازمة مع القائد (بيترو دي بورتو كاريرو)، لذلك سارع (سيربيلوني) بإخلاء مدينة بنزرت ونقل أفراد حاميتها إلى حلق الوادي[2]،كما أشرف على تنظيم الدفاعات ووزعها كما يلي:

- **حصن حلق الوادي:** تحت قيادة (دي بورت توكاريرو) ومعه 04 كتائب عسكرية من الإسبان و05 كتائب من الإيطاليين.
- **حصن الباستيون:** شرع الإسبان في بناء قلعة الباستيون يوم 11نوفمبر 980هـ/1573م لتكون القاعدة الخلفية لقلعة حلق الوادي في حال تعرض هذا الأخير إلى هجوم عسكري من جهة البحر وتربط قنال[3] الحصنين، ومن الأسباب التي دفعت الإسبان لإنشاء هذا الحصن الحملة العسكرية التي قادها قلج علي سنة 976هـ/1569م والذي تمكن من الاستيلاء على تونس وهدد قلعة حصن الوادي التي كانت تتمركز فيها الحامية الإسبانية، كما أنهم خافوا من ردة فعل العثمانيين بعد هزيمتهم في معركة ليبانت، استغل الإسبان البرزخ الذي في البحيرة وأقاموا عليه برجا يسهل مراقبة البحيرة من طرفيها الشمالي والجنوبي، والذي أقيم بالقرب من بحيرة حلق الوادي وجزيرة شيكلي وقد وضع الدون خوان الحصن بقيادة (الدون زاموغيرا).
- **حصن باب البحر:** بقيادة (سربيلوني) ومعه 1000 جندي اسباني وايطالي[4].

كما نقل المرضى والعاجزين عن حمل السلاح إلى إيطاليا لأنهم سيشكلون عبئا على القوات الإسبانية في مثل هاته الظروف[1]

---

[1]– عبد القادر فكاير: **الصراع الجزائري الإسباني...، المرجع السابق**، ص 250.

[2]– ألفونسو روسو، **المرجع السابق**، ص ص104– 105.

[3]– القنال التي تربط ميناء حلق الوادي بمدينة تونس ويذكر الادريسي أن طولها يساوي 5.800 كلم وعرضها 20 مترا.

[4]– طاهر تومي: **المرجع السابق**، ص 303.

خلاصة الفصل:

مما سبق نستنتج:

- مساهمة قلج علي الكبيرة على رأس البحرية والاسطول العثماني في تطهير تونس من الهيمنة الاسبانية وعملائها الحفصيين مما اضعف نفوذهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط.
- مثلت هزيمة الاسطول العثماني في معركة ليبانت 1571م صفعة قوية للعثمانيين جعلتهم يستوعبون مدى خطورة فقدان مناطق نفوذها بالمغرب.
- كانت هزيمة معركة ليبانت دافعا قويا من اجل الانتقام من الاسبان وحلفائهم وطردهم نهائيا من السواحل المغاربية.
- كانت حملة الدون خوان ضخمة سنة1573م على تونس وباستيلائه على تونس وحلق الوادي اصبح يهدد تواجدهم في الجزائر وطرابلس لذا ادرك السلطان العثماني ضرورة القيام بحملة كبيرة من اجل ضم تونس للدولة العلية وانتقاما لمعركة ليبانت.
- كلف السلطان العثماني سنان باشا بتعيينه قائدا لهذه الحملة بمساعدة قلج علي قائدا للأسطول العثماني.
- سخرت كل الظروف و المعدات الحربية سواء تجنيد العساكر وصنع السفن الحربية والأسلحة المتطورة من اجل انجاح هاته الحملة.
- بعث السلطان العثماني عدة رسائل على حكام وقادة الايالات العثمانية من اجل المشاركة في الحملة على تونس وحلق الوادي وتقديم المساعدة بالعدة والعتاد والسلاح والعساكر، كما بعث حتى شيوخ القبائل والامارات ودعاهم للمشاركة وتقديم المساعدة.
- نجاح هاته الحملة يعني تخليص تونس من الهيمنة الصليبية الاسبانية والموالين لها وضمها للدولة العلية.

[1]- **نفسه**، ص 303.

الفصل الثالث

الحملة العثمانية على تونس وحلق الوادي وتداعياتها

المبحث الأول: مجريات الحملة العثمانية

أولا –سير الحملة

ثانيا– مخطط الأسطول العثماني في الهجوم

المبحث الثاني– الفتح النهائي لحلق الوادي وتونس

أولا– تحرير حلق الوادي والقضاء على الإسبان (982هـ/1574م)

ثانيا– تحرير مدينة تونس (982هـ/1574م)

المبحث الثالث– تداعيات (انعكاسات) معركة حلق الوادي–تونس

أولا–محاولات الحفصيين واسبانيا في استرجاع تونس

ثانيا: إلحاق حكم إيالة تونس بالجزائر و ضبط النظام فيها

ثالثا– نتائج الحملة العثمانية على تونس–حلق الوادي

خاتمة الفصل.

تمهيد:

بعد الهزيمة النكراء التي تعرض لها الأسطول العثماني في معركة ليبانت1571م، قرر الإسبان مهاجمة تونس لانشغال العثمانيين بترميم أسطولهم الذي تعرض لخسائر فادحة عقب المعركة، ففي سنة 1573م استولى الدون خوان النمساوي على تونس وحلق الوادي وقرر انشاء مملكة خاصة به فيها رغم تحذير أخيه غير الشقيق فيليب الثاني من ردة فعل العثمانيين المتمركزين في الجوار (الجزائر وطرابلس الغرب)، لكنه تباهى بنصره في معركة ليبانت ولم يستمع له، في هذا الوقت قرر السلطان العثماني التحضير لحملة كبيرة لتحرير تونس وحلق الوادي انتقاما من الإسبان ولخسارتهم في هذه المعركة، فقام بإنشاء اسطول ضخم بقيادة "قلج علي" وجعل الوزير "سنان باشا" قائدا لهذه الحملة، كما أرسل عدة رسائل وفرمانات للإيالات العثمانية يطلب منهم الدعم وفيما يلي شرح مفصل للحملة.

المبحث الأول: مجريات الحملة العثمانية

أولا –سير الحملة:

بعد التحضير الجيد للحملة التي سخرت الدولة العثمانية جميع الإمكانيات المادية والبشرية لأجل إنجاحها، وكما ذكر ابن أبي دينار في كتابه المؤنس في أخبار افريقيا وتونس:

"... فانتدب لهذا الأمر سنان باشا وجعله سردار العسكر وأضاف إليه من يكون له النظر على المراكب البحرية ومن كانت له بالبحر خبرة ودراية وهو قبطان البحر قلج علي باشا... وانعم السلطان عليهما بتشاريفه المعتادة وحكمهما فيما يحتاجان اليه من آلات السفر وزيادة وشحنت المركب بما يحتاج اليه من الذخائر والأموال وآلات الحرب وبرز العسكر من

القسطنطينية غرة ربيع الأول سنة احدى وثمانين وتسعمائة وكان يوم خروج العسكر يوما مشهودا وشحنت الاغربة بالرجال وعددها مائتا قطعة..."[1].

خرج الأسطول العثماني من القسطنطينية بقيادة "قلج علي" بصحبة "سنان باشا" قائد الحملة في (23 محرم982هـ/15ماي1574م)، وتكونت الحملة من جنود وبحارة بالآلاف حيث فاق عددهم 55.000 من مختلف الإيالات العثمانية، وكذا تجهيز أسطول مؤلف من 300 سفينة بمختلف أنواع الأسلحة[2]. تجمع الاسطول العثماني بميناء نافرين (Navarin) باليونان ويظهر لنا من خلال الفرمان الذي بعثه السلطان العثماني الى قلج علي:

" الأمر الصادر إلى القبطان علي باشا:

ذكرت في رسالتك أن أسطولي الهمايوني يمكن أن يتوقف لمدة عشرة أيام فقط في ميناء ناوارين، من بداية فصل الشتاء، والآن أرسلت دوبروفيك رسالة إلى سدة سعادتنا تضمنت ورود أخبار عن قيام القائد الإسباني الملعون دون جوان بتحشيد قطعاته العسكرية، وأسطوله تحت قلعة سان مارين، والآن يقوم بتعبئة السفن للتوجه بها إلى جهة ما.وسؤالنا ماذا ترشح لديكم من أخبار العدو بعد الأخبار المتحصلة من الأفراد سابقا؟ هل توجد هكذا حركة لديهم؟ وفي حال وجودها، فإلى أي جانب ستتوجه حركتهم؟ إنه من المهم معرفة ذلك. وإذا كان الحال هكذا، فإن بداية الشتاء قد مرت، ولم يتبق وقت للعمليات البحرية، فلماذا يتمكن أسطول العدو من التعرض على ذلك الطرف فيما بعد. لذا نأمرك حال تسلمك أمرنا الشريف أن تقف على

[1]- دلندة الأرقش وآخرون: **المغرب العربي الحديث من خلال مصادره**، ميديا كوم مركز النشر الجامعي، تونس، د ت، ص101.

[2]- عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق**، ص 60. وللتفصيل أكثر حول هذا الموضوع ينظر الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم24، ص 75، بتاريخ (15دي الحجة 981هـ/ 7 أفريل 1574م).

الأخبار الصحيحة للكفار الخائبين، وتتقدم الأسطول في الوقت الذي تراه مناسبا، في حال تبدد احتمال تعرض العدو بسبب مرور وقت مع العمليات البحرية"[1].

وفي طريقه إلى تونس مر بمنطقة مالوكليسان بالبندقية، هناك أخذ الجنود قسطا من الراحة ثم مر بصقلية وفيها جرت معركة كبيرة بين الأسطولين العثماني والصقلي غنم فيها العثمانيون سفينة محملة بالقمح وغيرها[2]، وعند وصول الأسطول إلى مشارف تونس كانت القوات المغربية (القيروان، طرابلس والجزائر) محتشدة ومعسكرة في المهدية من أجل قطع الامدادات والمؤن على الإسبان كما استولت على الآبار والمياه قصد محاصرتهم[3].

وفي 12 جويلية 1574م وصل الأسطول العثماني إلى تونس، ليحط في اليوم الموالي بحلق الوادي، وفي هذه الأثناء تقدمت قوات عسكرية يقودها كل من "حيدر باشا" و "مصطفى باشا" بعد أن نزلا بالمهدية ثم توجها إلى منطقة "السيجومي" القريبة من مدينة تونس بعد مراقبة الطرقات المؤدية إلى المدينة:

" ... وكان قدر الله تعالى قبل وصول العمارة العثمانية بيوم وصل إلى تونس الباشا حيدر من القيروان... وكذلك مصطفى باشا صاحب طرابلس فحضرا إلى تونس ونزلا معا بإيزاء المدينة في سيجوم لقصد محاصرتها..."[4].

تمكنت هذه القوات من تطويق قوات العدو وفرضت عليه ضغطا عسكريا لإجباره على الاستسلام وقطع المواصلات والدعم عليهم، واتبعت استراتيجية عسكرية تمثلت توزيع المقاتلين في شكل سلسلة متماسكة متواصلة فيما بينها، هذه العملية فرضت حصارا على المدينة من خلال

[1]- الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 23، ص 86 ،8 جمادى 981هـ / 5 سبتمبر 1573م./ عبد الجليل التميمي: **المرجع السابق**، ص ص218-219.

[2]- طاهر تومي : **المرجع السابق**، ص303.

[3]- الوزير محمد السراج الأندلسي: **المرجع السابق**، ص227.

[4]- ابن أبي دينار: المؤنس...، **المرجع السابق**، ص241.

تطويقها من الجهات الثلاث (الغربية والشمالية والجنوبية) وهذا بمساعدة الأهالي خاصة سكان "ربض باب سويقة" واستعملوا منازلهم كستائر للقوات العثمانية لمواجهة الإسبان.

كل هذا في انتظار الأسطول العثماني القادم من القسطنطينية بقيادة "سنان باشا" ويقول ابن أبي دينار في هذا الصدد:" ... **وفي آخر اليوم ظهرت مراكب أخرى في البحر... وجاءتهم الأخبار من عند الوزير سنان باشا... فلما سمع عندهم الخبر قويت نفوسهم...**"[1].

وفي رواية أخرى للسراج يقول فيها: "... **تحركت عند حيدر باشا الحرارة الإيمانية ... فتحرك بمن معه إلى تونس، ونازلوها يوما حصلت فيه بعض محاربة، وطالت مدة الفتح عليهم وكاد أن ينفذ ما لديهم، فبينما هم في شدة الأحوال... رأوا على سطح البحر مراكب جمة... هي المدد والجيش العثماني...**"[2].

ثانيا– مخطط الأسطول العثماني في الهجوم:

بعد انتشار خبر مجيء الأسطول العثماني قام الأهالي التونسيون باتصالات مع قائد الحملة "سنان باشا" ومع القبائل المجاورة يخبرونهم بالفرج والنصر القريب، وقاموا باستقبال الأسطول العثماني وقدموا لهم المساعدة المتمثلة في الأسلحة والمواد الغذائية ومواد أخرى كانت محملة على ظهور الجمال والخيول والتي استفادوا منها في نقل المواد اللازمة لحفر الخنادق[3]، وهاته كانت أوامر السلطان إلى حاكم تونس يأمره فيها بحفر الخنادق وملأ المتاريس والأكياس الضخمة بالصوف (توضع من أجل الدفاع)، وقد جاء نص الفرمان كالآتي:" **هذا حكمنا الشريف إلى بايلرباي تونس: بمشيئة الله في أول الربيع سوف نستعد لإعداد وإرسال الأسطول إلى تونس وتلك هي عزيمتنا، لتستعدوا من الآن لحفر الخنادق ووضع المتاريس الوفيرة والأكياس الضخمة والصوف وبكمية كبيرة. ولدى**

[1]– دلندة الأرقش وآخرون، **المرجع السابق**، ص 101.

[2]–الوزير محمد السراج الأندلسي: **المرجع السابق** ، ص215.

[3]– سي يوسف: **المرجع السابق** ، ص155.

وصول حكمنا الشريف هذا، وجب اعداد الخنادق والمتاريس والأكياس التي تملأ قطعة بالصوف، وبشكل محكم لتضليل الكفار، وإن شاء الله لدى حضور أسطولي الهمايوني وعساكري المظفرة، فلتعملوا على محاصرة العدو مباشرة، ولا تهملوا شيئا ولا تضيعوا أية دقيقة من الآن[1]".

كما بعث أوامر للقبائل المجاورة لتونس، كحاكم قبائل "زواوة" يطلب منه تقديم الذخائر والعساكر للمشاركة في الفتح، وقد جاء نص الفرمان كالآتي:" **هذا مرسومنا الشريف العالي السلطاني وسؤالنا المنيف السامي الخاقاني المبارك أرسلناه إلى الجناب الأميري الأرشدي الأفخمي الأمير أحمد، حاكم زوارة دام مجده، ينهي إليه أننا قد صممنا على الجهاد ضد الكفرة ودفع مضرات أرباب البغي والعناد، وتوكلنا على عون الله تعالى وحسن توفيقه وعناياته، وتوسلنا بكرامات سيد الأنبياء ومعجزاته عليه السلام وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأكمل التحيات. لقد جهزنا السفاين المملوءة بأنواع آلات الحرب والقتال وأصناف أدوات الضرب والنزال وملأناها كلها بأبطال الرجال البارزين، لإعلاء كلمة الدين المبين، ثم أرسلنا إليكم مع مملوك عتبتنا العالية الشأن... فإذا وصل إليكم كتابنا الشريف وحكمنا المنيف، فعليكم بتلقيها بالتعظيم والإجلال وتلبسها شاكرا على نعماء الله المتعال وإن تظهر ما أضمر فيكم من الشجاعة والجلادة في المحاربة، لدفع المضرة وتكميل الالتزام وأن تحضر الذخائر الوافرة المتكاثرة لعساكرنا المنصورة بألطاف الله المبرورة، الواردين على تلك الديار لدفع شرور أشرار الكفار.فإذا ورد عليكم أمرنا الشريف وحكمنا المنيف بعد هذا، وطلب منكم الذخائر للعساكر الجليلة المآثر، فادفعوها إلى من طلب منكم بأمرنا الشريف، وتعاونوا بالعساكر**

[1]- الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 23، ص303، 28 شوال 981هـ/ 20 فيفري 1574م./ عبد الجليل التميمي، وثائق....، **المرجع السابق**، ص222.

وأدوات القتال[1]". ونفس الأوامر لحاكم "إمارة كوكو" بإيالة الجزائر تحثه على توفير عدد كبير من الذخائر للأسطول العثماني إضافة إلى إعداد أكبر عدد من العساكر ، وهذا نص الرسالة:" **أمر إلى بكر بك حاكم كوكو في إيالة جزاير غرب: سبق أن أرسل لك الأمر الشريف المتضمن المحافظة على ولاية دار الجهاد، المتمثلة بإيالة جزاير غرب وبالجملة رعاية أمور الدين المبين دين سيد المرسلين، والآن نقرر ما يأتي: عند وصول أمرنا وبالوجه الذي أوضحه الفرمان المشار إليه، ابذلوا المجهود من أجل المحافظة والحماية اللازمة لما يقع تحت إمرتكم. ونظرا لاستيلاء أسطول العدو على تونس، فقد تقرر وصول أسطولنا الهمايوني إلى تلك الجهات في الربيع. ويتوجب عليك إعداد ذخائر وافرة ومستوفية لأسطولي الهمايوني وللعساكر المنصورة، وإن تمكنت من أعداد كبيرة من العساكر، فلا تردد في ذلك. وفي وقته وموسمه، كن أنت كذلك في إمرة عساكر أسطولي الهمايوني. وقد أرسلت أحكام شريعة بهذا الخصوص، إلى أمير أمراء الجزائر، أظهر كل أنواع المساعي الجميلة، عندما يمنحك المشار إليه التعليمات بهذا الخصوص**[2]".

كما بعث إلى بايلرباي الجزائر يأمره بإعداد وجلب 5000 كيس و10.000 شبكة، بعث نفس الحكم وجه لحاكم طرابلس الغرب، وقد جاء نص الفرمان كالآتي: "**هذا حكمنا الشريف إلى بايلرباي الجزائر: أن أسطولي الهمايوني يحتاج إلى 5000 كيس و10.000 شبكة، ولا بد من إعداد وإحضار ذلك، وهو أمر مهم. وعليه لدى وصول أمرنا الشريف هذا، لا تتأخروا في إعداد 5000 كيس و10.000 شبكة، لأسطولي الهمايوني وإن شاء الله، لدى إحضارها، سيحملها الأسطول، وهو المؤمل، فلا تهملوا هذا الأمر ولا يتدخل أحد من الرعايا في ذلك،**

[1]- الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 23، 313، 13 ذي القعدة 981هـ/ 6 مارس1574م./ عبد الجليل التميمي، وثائق....، **المرجع السابق**، ص 223.

[2]- الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 23، 349، 18 ذي القعدة 981هـ/ 11مارس1574م./ عبد الجليل التميمي، وثائق....، **المرجع السابق** ، ص ص 223- 224.

ولتأخذوا حذركم. نفس هذا الحكم قد وجه إلى بايلرباي طرابلس الغرب لإعداد 5000 كيس و1000 قنطار من الصوف[1]".

كل هذا يدخل في الإعداد الجيد من أجل إنجاح الحملة على تونس، وقد نزل الأسطول بمكان فيه مياه عذبة ووفيرة وقاموا بحفر أكثر من 20 بئرا في وقت قصير على عكس الإسبان الذين حفروا عددا كبيرا من الآبار لكنها لم تلبي حاجياتهم[2].

بفضل الخطة التي وضعها كل من "سنان باشا" و"قلج علي" والتي قضت بالتدمير الكامل لقلعة حلق الوادي، من خلال وضع متفجرات في أسسها، وتم ذلك بعد قتال مرير، لأن الإسبان دافعوا بشراسة عن قلعتي حلق الوادي وسان جان حتى الموت حيث جاء في الرسالة التي بعث بها "سنان باشا" للسلطان العثماني، أنه تم تحرير تونس وحلق الوادي التي تم هدمها من أساسها، وأنه قد تم وضع الرجال في قلعة تونس لضبطها، وقد اندحر أعداء الدين والدولة، وهذا هو تفصيل الرسالة التي أرسلت لقلج علي قبطان البحرية العثمانية:" **لقد سبق تعيين وزيري سنان باشا أدام الله تعالى إجلاله، قائدا لأسطولي الهمايوني من أجل فتح تونس وحلق الوادي، والسيطرة عليهما بعناية الله تعالى. وبعد إرساله بعث لنا رسالة أحاطنا فيها علما بإتمام فتح القلعتين المذكورتين، وقد وضع الرجال في قلعة تونس لضبطها، وقام بهدم قلعة حلق الوادي من أساسها، وقد ذكر كذلك كمال خدمتك في هذا الميدان. والواقع فإنه بفضل ما هو معروف في طبيعتك، من وفرة الإقدام وحسن الاهتمام، وما يماثل ذلك من خصال حميدة وأفعال سديدة، فقد ظهر كل**

[1]- الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 24، ص05، 16 ذي القعدة 981هـ/ 09مارس1574م./ عبد الجليل التميمي، وثائق....، **المرجع السابق** ، ص 224.

[2]- ايفانوف نيقولاي: الفتح الإسلامي.....، **المرجع السابق**، ص 299.

ذلك على حقيقته، لتبييض وجهك، بعناية الباري، وقد اندحر أعداء الدين والدولة وغلبوا على أمرهم[1]".

وفيما يأتي نتطرق لأحداث التحرير المهمة بشيء من التفصيل لأهمية الحدث.

المبحث الثاني– الفتح النهائي لحلق الوادي وتونس:

أولا– تحرير حلق الوادي والقضاء على الإسبان (982هـ/1574م):

في 13جويلية 981هـ/1574م توجه فيلق من القوات العثمانية نحو القلعة وتمركزوا بعيدا عن صوب المدفعية الإسبانية ومعهم مختلف الأسلحة كالدروع والمدافع الصغيرة والمتوسطة إلى جانب المدافع الكبيرة والتي كانت تجرها الدواب وعملوا على إقامة المتاريس وحفر الخنادق للاختباء وراءها بمساعدة الأهالي كما أمرهم السلطان العثماني، وتطرقنا لذكرها سابقا.

بدأت المعارك يوم17جويلية، بدأ الزحف العثماني الى قلعة حلق الوادي حيث كلف "سنان باشا" "قلج علي" بفرض الحصار على حلق الوادي [2] وتطويق القلعة من كل الجهات ، لقد قام بدور فعال حيث يقول "الكولونيل هانيزو (**Hanezo**) **"ساهم كثيرا في تقدم الحصار، فكان في كل مكان يوجه ويشجع الرجال بأقواله وأفعاله"**، وقد التحق به أربعمائة جندي إسباني كانوا متواجدين بمعسكر ميناء حلق الوادي [3]، وقد كان في مساعدة "قلج علي" "أحمد عرب" الذي دخل المعركة مثل الجندي كما قام بالمساعدة في بناء المتاريس، وقد أبدى كل من "قلج علي" و"أحمد عرب" شجاعة قتالية لامثيل لها[4].

[1]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 26، ص 288، بتاريخ 15 رجب 982هـ/ 31 أكتوبر1574م./ عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق** ، ص ص 230-231.

[2]– صورة للحصار على حلق الوادي وحصن الباستيون، **ملحق 09**.

[3]– رحيمة بيشي: **المرجع السابق** ، ص 141.

[4]– محمد فريد بك المحامي: **المرجع السابق** ، ص112.

وبدأ القصف المدفعي ضد القلعة يوم 21 جويلية من طرف الأسطول العثماني، ما أدى إلى تهديم أجزاء من أسوار القلعة، وتقدمت القوات الإسلامية إلى أن بلغتها، وبعد الحصار الذي دام لمدة شهر، وفي 20 أوت، قامت القوات العثمانية بتفجير لغم ببرج "سان مارتن" الذي سهل عليهم عملية اقتحام القلعة ، وبذلك استطاعوا فتح ثغرة تؤدي للقلعة عثروا خلالها على نفق طويل محصن، وبالقرب من المنطقة التي كان متواجدا فيها "سنان باشا"، كان بداخلها الرجال والآلات الحربية، فقاموا بشن هجوم جديد على القلعة، وهذا ما أرهق الجنود الإسبان لقلة عددهم جراء القصف المدفعي والهجمات المتكررة من طرف العثمانيين.

وفي صبيحة يوم 23 أوت 981هـ/1574م سقطت القلعة وتمت السيطرة عليها نهائيا[1]، وقد قتل على أسوار القلعة "مصطفى باشا" وتم اسر الدون "بورتوكاريرو" رفقة 300 من جنوده، كما استولى العثمانيون على200 مدفع ثقيل وأكثر من 30 راية[2].

ثانيا– تحرير مدينة تونس (982هـ/1574م):

بعد أن استولى "سنان باشا" على قلعة حلق الوادي توجه إلى حصن الباستيون وكان قد أمر "مصطفى باشا" و"حيدر باشا" بالهجوم على تونس، وأمدهم بألف جندي، وأعطاهم ثمانية مدافع ثقيلة وثمانية مدافع صغيرة، كان هذا تزامن مع الهجوم على حلق الوادي، ودعمهم بقوات من مصر وقبرص وغيرهم[3].

بدأ زحف القوات العثمانية إلى مدينة تونس وحاصروها، وقد وصف لنا هذا ابن أبي دينار في قوله:" ...**وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم وناوشوها بالقتال من كل جهاتها**..."[4]، وفي

[1] ((Henri . D) DE Grammont: **Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830)**, Ernest lerroux. Éditeur, Paris 1887, p116

[2]– طاهر تومي: **المرجع السابق** ، ص307. /بيشي رحيمة: **المرجع السابق** ، ص 142.

[3]– رحيمة بيشي: **المرجع السابق** ، ص143.

[4]– ابن أبي دينار: **المرجع السابق**، ص211.

طريقهم واجهتهم القوات الإسبانية التي كانت منتشرة خارج المدينة البالغ عدد قواتها 30 ألفا، وبإصرار العثمانيين تراجع الإسبان بعد مقتل وجرح 200 جندي وهذا بعد أن تخلى عنهم العرب الذين انضموا للقوات العثمانية بعد تخليهم عن سلطانهم[1]، وفر الجنود الإسبان رفقة الملك "محمد الحفصي" إلى قلعة الباستيون ويقول ابن أبي دينار في كتابه المؤنس في هذا الصدد:

" ... ولما رأى السلطان محمد الحفصي ومن معه من النصارى كثرة العساكر علموا أن لا طاقة لهم بالقتال هذا مع أن قلعة تونس كان أكثرها خرابا لتواتر المحن وقلة الاهتمام وكذلك المدينة لم تكن معمورة بأهلها بل غالبها خراب أيضا ... فعجزوا عن تحصين البلد وقلعتها فخرجوا... عند ذلك خلت المدينة وقصبتها ولم يبق بهما من يصونها فدخل العسكر العثماني من كل جهة وملكوا المدينة وقلعتها وحصونها..."[2].

أرسل العثمانيون، يطلبون من "سنان باشا" إعانتهم على فتح حصن الباستيون، فبعث إليهم "قلج علي" مع مجموعة من العساكر، ولما وصل إليه طلب منه المزيد من المدد لأنه واجه صعوبة في التوغل داخل حصن الباستيون، فأرسل إليه حوالي 1000 جندي بقيادة "علي آغا" وهو المسؤول على أماكن حفظ الأسلحة بالباب العالي (سلحدار الباب العالي)[3]، مُجهّزين ب08 مدافع [4]، ويذكر السراج أنهم مجهزين بأربعة عشر مدفعا صغيرا وكبيرا، وأحاطوا بحصن الباستيون من جميع الجهات، ولما بدأت المعركة وصل "سنان باشا" وقاتل كواحد من الجنود من أجل أن يقدم لهم الدعم ولكي يطلع على الأوضاع، ثمّ عاد إلى حلق الوادي.

[1]- رحيمة بيشي: **المرجع السابق** ، ص143.

[2]- دلندة الارقش وآخرون: **المرجع السابق** ، ص101.

[3]- مصطفى عبد الكريم الخطيب: **معجم المصطلحات والالقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1996م، ص256.

[4]- محمود مقديش: **المرجع السابق** ، مج02، ص75.

وفي 10 أوت، جاء "رمضان باشا" من الجزائر مع قواته بالإضافة إلى عدد من رجال القبائل الذين انضموا إليه في الطريق، فالتحق بـ "سنان باشا"، وقاموا بتشديد الحصار بقواته على الباستيون وواصلوا القصف بكثافة فألحقوا بالإسبان خسائر كبيرة[1].

في 05 سبتمبر تواصل الضغط العثماني على الجيش الإسباني المتمركز بالحصن ما ولد لديهم حالة من القلق وما زاد من انهيارهم وضع المتفجرات عند أسوار الحصن، وفي ظل هاته الأوضاع المتأزمة لدى الإسبان.

وفي 07 سبتمبر أعرب "الدون خوان النمساوي" عن نيته في التوجّه إلى تونس يقود أسطولا يتكون من 60 سفينة لنجدة المحاصَرين المسيحيين، لكن لم يؤذن له بتسيير الأسطول الإسباني إلا في 23 سبتمبر، في هذا الوقت كان الأوان قد فات والنصر كان حليف القوات العثمانية[2].

بعد سقوط حلق الوادي انضم "سنان باشا" إلى "قلج علي" بقلعة الباستيون، فتوحّدت القوات وشدّدت الحصار على الإسبان، وتواصلت الهجمات، يُذكر أن تلك الأيام، كانت من أقسى ما عانى الإسبان يقول "روفيينو (Rouvino)"الذي كان بين المحاصرين واصفا المشهد:" **أظلمت السماء لغزارة الحجارة المنهالة علينا، واحترقت من كثرة الأجسام الملتهبة" [3].**

تمثل التكتيك في بناء المتاريس والتقدم بها تدريجيا اقترابا من أسوار الحصن ومن ثم الاعتماد على رمي العدو بالبنادق وزرع الألغام وألواح الخشب المشتعلة، والأقواس فقُتل آلاف الجنود، أو أحرقوا أحياء.

[1]- الوزير السراج: **المرجع السابق** ، ج2، ص ص230-229.

[2]- طاهر تومي : **المرجع السابق** ، ص 308.

[3] - رحيمة بيشي: **المرجع السابق** ، ص152.

وفي يوم الإثنين 13 سبتمبر شن المسلمون هجوما فبدأوا بزرع الألغام تحت أبراج القلعة[1]، وبعد تفجيرها كان من السهل اقتحام الحصن والاستيلاء عليه، والقضاء على من فيه واستولوا على كل ما فيه من مؤونة وسلاح[2].

وبعد سقوط حصن الباستيون على يد العثمانيين لجأ الناجون الاسبان إلى شيكلي ومعهم محمد الحفصي ويقول ابن أبي دينار في ذلك:

"... وعلم أهل الكفر أن لا مانع من الموت، فأقدم كل على صاحبه وتضاربوا بالخناجر وعانق بعضهم بعضا إلى أن بدد الله شملهم وقتلوا عن آخرهم إلا من نجا منهم إلى شيكلي.."[3].

ويذكر أيضا أن من التجأ إلى جزيرة شيكلي طلب الأمان من سنان باشا فقبل ذلك:"... **ثم إن الطائفة الملعونة لما تحصنت بجزيرة شيكلي طلبت الأمان من الوزير فأمنهم، وقد رأى في ذلك مصلحة فجاء اليه زهاء مائتين منهم وأخبروه بأمور مهمة منها...**" ، أن الأمان الذي قدمه سنان باشا كان به مصلحة لبلده ورأى أنه يمكن الاستفادة من هؤلاء لأنهم كانوا أصحاب حرف ويتقنون صناعة المدافع وغيرها من الأسلحة[4]، ألقي القبض على القائد سربيلوني، وعدد من رجاله، وتمّ إرسال القادة الثلاثة (سربيلوني، زاموقيرا، وبورتوكاريرو)، والسلطان الحفصي "محمد"، مقيّدين إلى إسطنبول، ويقول ابن أبي الضياف في هذا الأخير (محمد الحفصي):" ... **وظفر بمحمد بن الحسن الحفصي فاقتلعه من منبت ملكه، وحمله إلى السلطان سليم العثماني، فاقتلعه خشية رجوعه إلى تونس، إلى أن هلك في اعتقاله..."[5].**

---

[1]- حصار الباستيون وأهم محاور المواجهات والتفجير بالألغام من 17جويلية إلى13 سبتمبر 1574م، **الملحق رقم 04**.

[2]- رحيمة بيشي: **نفسه**، ص153.

[3]- ابن أبي دينار: **المرجع السابق** ، ص216.

[4]- **نفسه**، ص ص219-220.

[5]- ابن أبي الضياف: **المرجع السابق** ، ص25.

وبهذا تمكنت الحملة بعد تظافر الجهود من القضاء على وجود الدولة الحفصية والوجود الإسباني وتحالفهما في كامل البلاد التونسية بالرغم من التعزيزات التي قام بها الإسبان في كل من تونس وحلق الوادي، وتم تعيين حيدر باشا حاكما عليها وبذلك أضحت تونس إيالة عثمانية تابعة للجزائر إلى غاية 995هـ/1587م، ثم استقلت عن الجزائر وأصبحت تابعة للباب العالي مباشرة[1].

وقبل مغادرة "سنان باشا" تونس قام بضبط أمور البلاد وضبط الأمن والاستقرار بها وقضى على الخونة وأهل الفساد كما قم بتكريم الزعماء والقادة الذين ساهموا في فتح تونس وحلق الوادي وتخليصها من الوجود الإسباني والسلطة الحفصية التي جلبت الذل والاستعمار لبلادهم وترك بها عدد من العساكر العثمانية، ويقول ابن أبي دينار في هذا الصدد:" ... **ولما أتم سنان باشا ما فتح الله عليه بحلق الوادي ثنى عزمه المبارك الى البلد الذي لم يخلق مثلها في البلاد، فرجع بعسكره المنصور إلى تونس واجتمع بالغزاة المحاصرين قلعة البستيون وهم في أشد القتال... وملك المسلمون البستيون، ولما تم له هذا الفتح، بعث بالخبر إلى الأبواب العالية... وانعم على من كان من ركابه من الزعماء والأكابر وبذل إحسانه لمن كان معه من العساكر وأنعم على كل صاحب مرتبة بما يستحقه... ومهد البلاد وأمن العباد، وقمع وخافه أهل الفساد، وترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار الينشرية ... ورجع إلى تلك الديار**[2]".

وقد قام السلطان العثماني بإرسال العديد من الرسائل والفرمانات إلى الوزير "سنان باشا" وحكام الإيالات العثمانية لتكريم القادة والذين ساهموا بتحرير حلق الوادي وتونس شكرا وتقديرا لهم على مجهوداتهم في خدمة الدولة العلية، نذكر منها ما يلي:

[1]- رحيمة بيشي و إبراهيم سعيود: **العمليات الجهادية لأسطول الجزائر العثمانية خلال القرن(10هـ/16م) من خلال وثائق مهمة دفتري ، دراسة نماذج**، مجلة دراسات تاريخية، مج9، العدد الأول، الجزائر، 1443هـ/2021م،(ص ص 76-89)، ص82.

[2]- دلندة الأرقش وآخرون: **المرجع السابق** ، ص102.

الأمر الصادر إلى الوزير سنان باشا: "**أصبح معلوما لدينا ما ذكرته في رسالتك المرسلة إلينا، والمتضمنة فتح قلعة حلق الوادي وتونس بعناية الله تعالى، والسيطرة على تونس، وهدم حلق الوادي من أساسه، وجعل أكثر من بداخله، طعما للسيوف، وأسر مقدار آخر منهم، وإعطاء المناصب لمستحقيها من الذين أبلوا بلاء حسنا في الغزوة المذكورة، والنزول بالأسطول الهمايوني في ضفة الروم. لقد بذلت المقدور وسعيت السعي المشكور في جهادك، من أجل الدين المبين لحضرة سيد المرسلين والطائع الهمايوني. لقد كنت مثلا يحتذى في الشجاعة والشهامة وفرط الفراسة والكياسة وأمثالها من الآثار الحميدة والأطوار السديدة. ليبيض الله وجهك وليدل أعداء الدين والدولة، ولتحل بهم النكبة. وقد صدر أمري جليل القدر بمزيد من العناية والتكريم بحق العاملين بالمعارك المذكورة من الغزاة المنتصرين، وفوضناك تقليدهم المناصب التي يستحقونها كما تراه مناسبا**"[1]، وكذلك دفتر المهمة رقم 26، ص 288 بتاريخ: السبت 15 رجب 982 / 31 أكتوبر 1574م، التي أوردناها سابقا، وتوجد رسائل أخرى بلغتها الأصلية العثمانية نرفقها في الملاحق[2].

المبحث الثالث– تداعيات (انعكاسات) معركة حلق الوادي–تونس:

أولا–محاولات الحفصيين والاسبان لاسترجاع تونس:

1– المحاولات الحفصية:

[1]– الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 26، ص 287؛ بتاريخ: السبت 15 رجب 982هـ / 31 أكتوبر 1574م./ عبد الجليل التميمي: دراسات...، **المرجع السابق** ، ص 230.

[2]– الأرشيف الوطني الجزائري: **مهمة دفتري** رقم 25، ص333، حكم رقم 3036، بتاريخ 982/08/15هـ.

– **مهمة دفتري** رقم 25، ص341، حكم رقم 3107، بتاريخ 982/08/27هـ.

– **مهمة دفتري** رقم 25، ص345، حكم رقم 3144، بتاريخ 982/09/04هـ.

– **مهمة دفتري** رقم 25، ص345، حكم رقم 3143، بتاريخ 982/09/04هـ.

– **مهمة دفتري** رقم 25، ص345، حكم رقم 3141، بتاريخ 982/09/04هـ.

بعد أن فر معظم أفراد الأسرة الحفصية إلى صقلية لجأوا إلى الملك فيليب الثاني وطلبوا منه المساعدة من أجل استرجاع ملكهم في تونس وقد جاء في إحدى رسائله:" ... **خادم سيادتكم أبو العباس أحمد بن السلطان أبوا عبد الله محمد...**"، كما بعث رسالة أخرى في 1578م يطلب منه أن يجهز له حملة يشرف عليها كي يستطيع استعادة ملكه في تونس وطرد العثمانيين منه، لكن فيليب الثاني لم يلب طلبه[1].

ولما علم السلطان العثماني بنوايا أحمد الحفصي وتحالفه مجددا مع الإسبان ومع أعيان إيالة تونس والعصاة من أجل القيام بتمرد وثورة ضد العثمانيين، فأمر "قلج علي" بتحضير الجيش والعدة والتصدي لأي هجوم وهذا بالتنسيق مع بايلرباي إيالة طرابلس الغرب "جعفر باشا" وهذا نص الرسالة التي أخطرت على احتمال وقوع حملة بقيادة مالطة وآخر أمراء الدولة الحفصية على تونس، جاء نصها كما يلي:" **هذا أمرنا الشريف إلى بايلرباي إيالة طرابلس الغرب جعفر باشا: نعلمك بأن أحد أولاد الحكام التونسيين (الحفصيين) حميدة، قد التجأ إلى مالطة وبعد تحضير العدة، عاد من جديد إلى تونس، وقام بتحالف مع أعيان هذه الإيالة، ومراسلة العربان العصاة للقيام بالتمرد وثورة ضد الأتراك وقد تحقق أن مالطة سوف تقدم العون والمساعدة اللازمة لتحقيق نجاح هذا التمرد، ولاستيلائه مرة أخرى على تونس. وأمام هذا الوضع، فقد أمرنا أميرال الدولة العثمانية ووالي الجزائر قليج علي باشا، بتحضير كل ما هو ضروري ومناسب لمساعدة بايلرباي تونس وصد أي هجوم يقع عليها. فالمطلوب كذلك منكم، تحضير كل الجيش والمعدات وعدم التأخر في تقديم المساعدة إلى الإيالة التونسية والتحقق هل هذه المساعدة تتمثل في قدومكم شخصا إلى تونس أم انه يكفي بإرسال الجنود والعتاد الحربي لها؟ المهم العمل والسعي على تقديم كل أوجه المساعدة وبذل الجهود في هذا المجال**[2]".

[1]- رحيمة بيشي: **المرجع السابق** ، ص154.

[2]- الأرشيف العثماني: **مهمة دفتري** رقم 29، ص 85؛ بتاريخ 3 رجب 984 هـ/ 26 سبتمبر 1576م. /عبد الجليل التميمي: **دراسات ...**: **المرجع السابق**، ص236.

وفي سنة 989هـ/1581م عزم السلطان أحمد الحفصي على أن ينزل إلى شواطئ تونس مع أتباعه مرة ثانية بعد تحققه من أن مالطا سوف تقدم له العون لتحقيق التمرد والاستيلاء على تونس[1]، فنزل نواحي صفاقص والقيروان رفقة 40000 رجل، لكن المحاولة باءت بالفشل لأن حاكم إيالة تونس كان لهم بالمرصاد وقضى عليهم في منطقة ما بين قصور الساف والجم، وفر الملك أحمد الحفصي هاربا[2].

2- المحاولات الاسبانية:

لم يكن الملك فيليب الثاني مهتما باسترجاع تونس لكثرة مشاكلها ونظرا للظروف التي كانت تمر بها دول أوروبا والمشاكل المالية، فتوجه إلى السواحل الإفريقية الأخرى واهتم بمستعمراته الأخرى، وصرف النظر عن تونس وكان ذلك عكس توقعات الدول الأوروبية [3].

وفي سنة 984هـ/1576م لم تتوقف المحاولات الإسبانية والأوروبية عن القيام بحملات عسكرية مزدوجة ضد العثمانيين في تونس، فأعدوا أسطولا يتكون من35 سفينة وانضمت لهم 05 سفن أخرى ورست في جزيرة قرقنة ويذكر عبد الجليل التميمي:" **وهناك قام بأنزال الجيش وهجموا على أهالي الجزيرة، الذين رغم مقاومتهم لم يتمكنوا من رد تلك الحملة... وقاموا بأسر حوالي 300 مسلم واحترقت القرى والمحاصيل مما اضطر أهل الجزيرة إلى الفرار...**"[4].

ثانيا: إلحاق حكم ايالة تونس بالجزائر و ضبط النظام فيها:

تم تحرير تونس نهائيا من الهيمنة الاسبانية والسلطة الحفصية سنة 982هـ/1574م وأصبحت تونس ايالة عثمانية، وفي العادة كان العثمانيون عند كل انتصار لهم يلحقون الدولة التي يحررونها

[1]- جون بول وولف: **المرجع السابق** ، ص85.

[2]- محمد سي يوسف: **المرجع السابق** ، ص159.

[3]- رحيمة بيشي: **المرجع السابق** ص158.

[4]- **نفسه**

مباشرة للباب العالي، لكن تونس ألحقت مؤقتا إلى حكم ايالة الجزائر، فقام " سنان باشا" قبل مغادرته تونس بضبط حدود تونس الجغرافية[1]، ووضع إدارة أمور ايالة تونس تحت إمرة "حيدر باشا" ويقول ابن أبي دينار في هذا الشأن ما يلي::" ... **أنهم جعلوا دار الخلافة هي المعبر عنها اليوم بدار الباشا وكذلك الديوان كان بالقصبة وجعلوا قوانين في اللباس يميزون بها مراتبهم في العيان تغني عن البيان وحذوا على أسلوب ديوان الجزائر أولا وأما التصرف في أحكام المدينة لباشا الوقت وأمر العسكر تحت نظرة آغاتهم وخطبوا للسلطان العثماني وضربوا اسمه على الدرهم والدينار والحكم العام في البلاد للباشا وحكم الأوطان للباي...**"[2].

رأى حيدر باشا أن التحصينات والقوات الموجودة في تونس ليست كافية لمواجهة الأخطار الخارجية ففكر بتعزيز استحكامات تونس وبنزرت، لكنه لم يجد الأموال الكافية لذلك، فذهب الى إسطنبول سنة 984هـ/1576م لمقابلة السلطان العثماني وتنبيهه لهذا الأمر، واخبره بحاجته للأموال لإعداد قوات كافية وطلب الحاق القيروان والمنستير بتونس فلبى السلطان طلبه، وتم الحاقهما، وفيما يخص القيروان فقد كان يحكمها الشيخ عبد الصمد الذي خضع للدولة العثمانية سنة 944هـ/1586م وسلم قلعتها وما يملك من أراضي إلى باشا تونس[3].

ثالثا– نتائج الحملة العثمانية على تونس–حلق الوادي:

- تم حسم الصراع في هذه المعركة لصالح الاسطول العثماني على الأسطول الإسباني.
- استطاع العثمانيون الانتقام من هزيمة معركة ليبانت 1571م، وإعادة بناء اسطول قوي جعلته يسترجع ثقته بنفسه.
- تأمين طرق المواصلات البرية والبحرية بين الباب العالي بإسطنبول وإيالات الدولة العثمانية المغاربية.

[1]– محمد الهادي الشريف: **المرجع السابق** ، ص94.
[2]– ابن أبي دينار: **المرجع السابق** ، ص33.
[3]– رحيمة بيشي: **المرجع السابق** ، ص159.

- مكن الانتصار العثماني في تونس من تحريرها نهائيا من الوجود الإسباني وكسر الطوق الذي كان المسيحيون يريدون ضربه على الجزائر لعزلها عن بقية مناطق العالم الإسلامي والانفراد بها للقضاء عليها كقوة مناهضة للسياسة التوسعية الإسبانية، فبموقعهم في تونس كان الإسبان قد التفوا حول المغرب من الخلف، وعند سقوط تونس وحلق الوادي فتح الباب على مصراعيه أمام العثمانيين ووضع حدا لحكم الأسرة الحفصية[1].

- تحطيم الحصون والمنشآت الإسبانية خاصة الموجودة بلحق الوادي، لقد أمر "سنان باشا" بتدميرها من أساسها حتى لا يتكرر ما حدث سابقا عندما استطاع الاحتلال الإسباني السيطرة عليها واتخاذها قاعدة عسكرية استراتيجية لتثبيت أركانه ومهاجمة بلاد المسلمين عموما والمغرب خصوصا.

- فقد الاسبان خيرة قادتهم في المعركة (دي زاموقيرا، سيربيلوني، بورتو كاريرو) الذين اقتيدوا للباب العالي دليلا على خضوعهم للعثمانيين.

- بعد أسر العميل محمد بن الحسن الحفصي من قبل سنان باشا، بقي معتقلا إلى أن توفي وبذلك قطعت السلالة الحفصية التي حكمت تونس قرابة 3 قرون ونصف من الزمن.

- استشهاد 13000 مقاتل عثماني وحوالي 10000 سواء من الجنود النظاميين أو المتطوعين بالإضافة الى الجرحى.

- مقتل 13000 جندي إسباني إضافة الى حوالي 8000 منهم الموالين للسلطان الحفصي مولاي محمد.

- استشهاد العديد من القادة العثمانيين على رأسهم مصطفى باشا حاكم طرابلس، وصفر بك حاكم الإسكندرية، وبايزيد بك وأحمد بك وغيرهم.

- تبادل عدد كبير من الأسرى من قبل الطرفين العثماني والإسباني منهم من أسر في معركة ليبانت كمحمد بن صالح رايس[2].

[1]- نعيمة بوحمشوش: **المرجع السابق** ، ص259.

[2]- طاهر تومي: **المرجع السابق** ، ص ص308-310.

خلاصة الفصل:

مثلت معركة تونس – حلق الوادي(982هـ/1574م) منعرجا مهما في العلاقات الدولية حسمت الصراع الذي قام بين أكبر قوتين في حوض البحر الأبيض المتوسط.

أخلص من خلال دراستي لهذه المعركة، أنها كانت أكبر المعارك الحاسمة في تاريخ المغارب عامة، وفي تاريخ تونس بوجه أخص نظرا لما أحدثته من تغيرات سياسية وعسكرية على الصعيد المحلي والعالمي ومثلت منعرجا في تاريخ تونس، والتي نتجت عنها بناء دولة حديثة.

– إن معركة تونس –حلق الوادي من المعارك التي أولتها الدراسات التاريخية أهمية خاصة سواء بالنسبة إلى المصادر أو الدراسات من أهمهم ابن أبي دينار وابن الضياف والوزير السراج... وغيرهم، بالنسبة

إلى المصادر والدراسات المحلية فالانتصار العثماني أصبح يمثل مرجعية شرعية الدولة في الفترات اللاحقة.

-من خلال هذه الدراسة تم استخراج الاستراتيجية الحربية العثمانية، فالحصار الذي ضرب على حلق الوادي والحصار الذي ضرب على مدينة تونس يخضعان إلى نفس التكتيك، حيث تم الاعتماد على التطويق من ناحية وتوجيه الهجمات والضربات على جانب معين من الحصن مع التركيز على النقطة الدفاعية والتحصينات الأضعف في الحصن من ناحية ثانية وككل الحروب أخذت المعطيات الطبيعية والتضاريسية بعين الاعتبار في التخطيط للمعركة والتي لم نذكرها بشكل مباشر لكننا تطرقنا لها من خلال مواد البناء المستعملة أو الستائر الترابية وإنجازها أو حفر الخنادق والأنفاق والألغام فهي مرتبطة لا محالة بدراسة نوعية التربة والتضاريس.

- إن خطة "سنان باشا" المحكمة والتخطيط الجيد للحملة وحيثياتها بمساعدة قلج علي مكن العثمانيين من نصر كاسح ضد الإسبان الذين قاوموا كثيرا الحصار العثماني لكن دون جدوى.

- اتبع سنان باشا نظاما محكما في تونس من أجل ضبط الأمور في البلاد دام لأكثر من عقد من الزمن.

- بعد معركة تونس-حلق الوادي تراجع الوجود الإسباني في البحر المتوسط وتم التخلص من الهيمنة الإسبانية وعملائها الحفصيين وانتقل الحكم للدولة العثمانية في البلاد التونسية وانتقلت من الفترة الوسيطة إلى الفترة الحديثة.

الخاتمة

من خلال دراستي لموضوع (الحملة العثمانية على تونس- حلق الوادي (982هـ/1574م)) من خلال الوثائق العثمانية استخلصت ما يلي:

- توجه خير الدين إلى تونس سنة 1534م لعدة أسباب أهمها استنجاد الرشيد بالدولة العثمانية وكذا لموقعها الجغرافي لأن انضمامها يعتبر مشروعا مكملا لانضمام الجزائر، وبذلك السيطرة على السواحل الافريقية والقضاء على النفوذ الاسباني.

- لم يقبل الحفصيون ضمهم للدولة العثمانية في أي وقت من الأوقات لأنهم كانوا يرون أنفسهم أحق بحكم تونس ويمثل الخلافة الإسلامية فيها.

- لم يمض كثيرا على ضم خير الدين تونس للدولة العثمانية حتى قام شارل الخامس بحملة ضخمة عليها سنة 1535م، ما دفع بخير الدين التراجع للجزائر.

- لم يكن الهدف من حملة شارلكان القضاء على السلطة الحفصية في تونس، بل تثبيتها تحت الحماية الاسبانية، وكذا القضاء على النفوذ العثماني في المنطقة والذي يهدد مصالحها.

- السلطة الحفصية خيبت آمال التونسيين بتواطؤها مع الاسبان واستنجادها بهم من أجل بقاء عرشهم، بالرغم ما فعله هؤلاء من نهب وحرق للمقدسات الاسلامية وارتكاب أبشع جرائم الإنسانية بسبب الحقد الصليبي الذي يحملونه .

- تمثلت العلاقات بين تونس واسبانيا خلال تلك الفترة بالتبعية المباشرة، خاصة بعد فرض الاسبان الحماية على الحفصيين وتوقيع الحسن الحفصي على معاهدة الاستسلام والتي احتوت على شروط قاسية ومذلة له ولأهالي تونس والتي قَبلها طمعا في استرداد ملكه.

- بعد تحرير طرابلس من هيمنة فرسان القديس يوحنا والاسبان، عمل درغوث باشا على تحرير تونس وكذا السواحل الشرقية والجنوبية.

- استطاع درغوث باشا ضم معظم الأراضي التونسية كقفصة وصفاقس والمهدية... ، ولم يبقى سوى تونس وبنزرت التي كانت تحت الحكم الحفصي وحلق الوادي الذي استطاع الاسبان تحصينه جيدا .

- تمكن درغوث باشا من القضاء على الثورات والتمردات الداخلية كثورة الشابيين في القيروان وغيرها.

- مساهمة قلج علي الكبيرة على رأس البحرية والأسطول العثماني في تطهير تونس من الهيمنة الاسبانية وعملائهم الحفصيين مما أضعف نفوذهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

- مثلت هزيمة الأسطول العثماني في معركة ليبانت 1571م، صفعة قوية للعثمانيين جعلتهم يستوعبون مدى خطورة فقدان مناطق نفوذها بالمغرب.

- كانت هزيمة معركة ليبانت دافعا قويا من أجل الانتقام من الاسبان وحلفائهم وطردهم نهائيا من السواحل المغاربية.

- كانت حملة الدون خوان ضخمة سنة 1573م على تونس، وباستيلائه على تونس وحلق الوادي أصبح يهدد تواجدهم في الجزائر وطرابلس، لذا أدرك السلطان العثماني ضرورة القيام بحملة كبيرة من أجل ضم تونس للدولة العلية، وانتقاما لمعركة ليبانت .

- كلف السلطان العثماني سنان باشا بتعيينه قائدا لهذه الحملة بمساعدة قلج علي الذي كان في منصب قبطان داريا للأسطول العثماني.

- سخرت كل الظروف و المعدات الحربية، سواء تجنيد العساكر وصنع السفن الحربية والأسلحة المتطورة من أجل إنجاح هاته الحملة.

- بعث السلطان العثماني عدة رسائل على حكام وقادة الايالات العثمانية من أجل المشاركة في الحملة على تونس وحلق الوادي، وتقديم المساعدة بالعدة والعتاد والسلاح والعساكر، كما بعث حتى شيوخ القبائل والامارات ودعاهم للمشاركة وتقديم المساعدة.

- نجاح هاته الحملة يعني تخليص تونس من الهيمنة الصليبية الاسبانية والموالين لها وضمها للدولة العلية.

- مثلت معركة تونس – حلق الوادي 982هـ/1574م منعرجا مهما في العلاقات الدولية ، حيث أنها حسمت الصراع الذي قام بين أكبر قوتين في حوض البحر الأبيض المتوسط.

- أخلص من خلال دراستي لهذه المعركة، أنها كانت أكبر المعارك الحاسمة في تاريخ المغارب عامة، وفي تاريخ تونس بوجه أخص، نظرا لما أحدثته من تغيرات سياسية وعسكرية على الصعيد المحلي والعالمي، ومثلت منعرجا في تاريخ تونس، والذي نتج عنها هو بناء دولة حديثة.

- إن معركة تونس –حلق الوادي من المعارك التي أولتها الدراسات التاريخية أهمية خاصة سواء بالنسبة إلى المصادر أو الدراسات المحلية من أهمهم؛ ابن أبي دينار وابن الضياف والوزير السراج... وغيرهم، فالانتصار العثماني أصبح يمثل مرجعية شرعية الدولة في الفترات اللاحقة.

- من خلال هذه الدراسة تم استخراج الاستراتيجية الحربية العثمانية، فالحصار الذي ضرب على حلق الوادي والحصار الذي ضرب على مدينة تونس يخضعان إلى نفس التكتيك، حيث تم الاعتماد

على التطويق من ناحية وتوجيه الهجمات والضربات على جانب معين من الحصن مع التركيز على النقطة الدفاعية والتحصينات الأضعف في الحصن من ناحية ثانية، وككل الحروب أخذت المعطيات الطبيعية والتضاريسية بعين الاعتبار في التخطيط للمعركة والتي لم نذكرها بشكل مباشر، لكننا تطرقنا لها من خلال مواد البناء المستعملة أو الستائر الترابية وإنجازها أو حفر الخنادق والأنفاق والألغام فهي مرتبطة لا محالة بدراسة نوعية التربة والتضاريس.

- إن خطة "سنان باشا" المحكمة والتخطيط الجيد للحملة وحيثياتها بمساعدة قلج علي، مكن العثمانيين من نصر كاسح ضد الإسبان الذين قاوموا كثيرا الحصار العثماني لكن دون جدوى.

- اتبع سنان باشا نظاما محكما في تونس من أجل ضبط الأمور في البلاد دام لأكثر من عقد من الزمن.

- بعد معركة تونس-حلق الوادي تراجع الوجود الإسباني في البحر المتوسط، وتم التخلص من الهيمنة الإسبانية وعملائها الحفصيين، وانتقل الحكم للدولة العثمانية في البلاد التونسية، وانتقلت من الفترة الوسيطة إلى الفترة الحديثة

الملاحـق

الملحق رقم 01: الامتداد الإسباني والعثماني في القرن 16م [1]

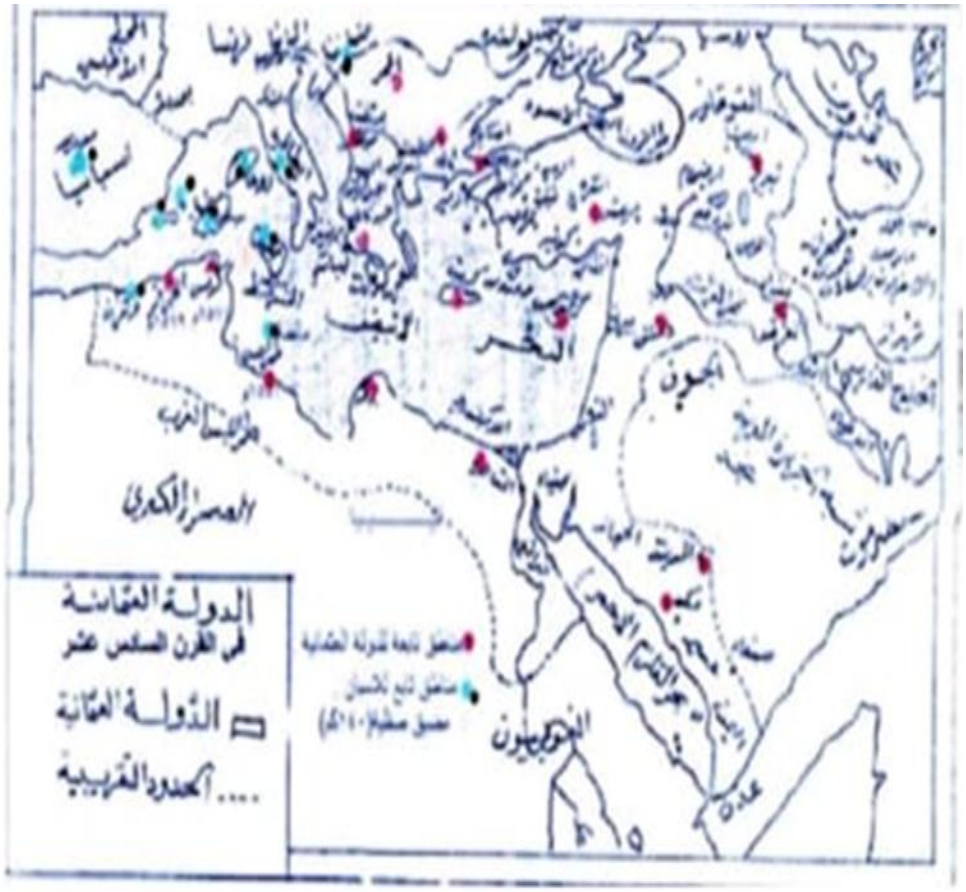

الملحق رقم 02: صورة خير الدين بربروس [2]

[1]- لحسن قرود : **المرجع السابق** ، ص 325 .

[2]- مجهول : **المصدر السابق** ، ص 3 .

الملحق رقم 03: السلطان سليمان القانوني[1]

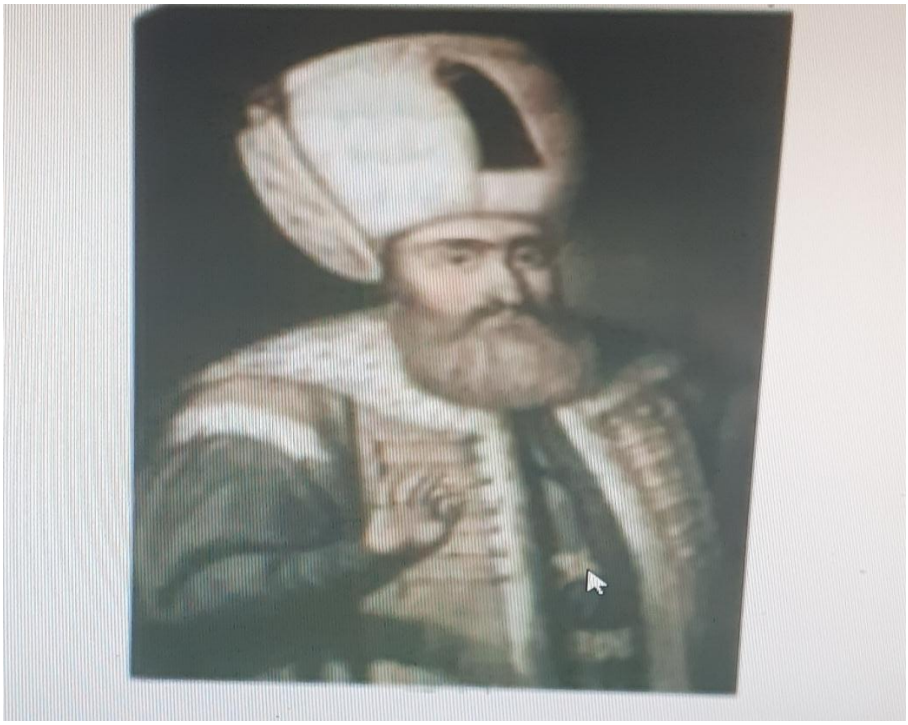

الملحق رقم04: صورة الحسن الحفصي[2]

[1] – زينب أولاد العيد : **جهود خير الدين بربروس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط 1518–1546م** ، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث ، إشراف: رحيمة بيشي ، جامعة غرداية ، 2020-2021م ، ص 74 .

[2] – https://ar.wikipedia.org/wiki/أبو_عبد_الله_الحسن

الملحق 05: صورة شارلكان [1]

الملحق رقم 06: صورة سنان باشا [2]

[1] – إيمان بوظفر ، أم الخير رزاق : **جهود الجيش العثماني في تحرير بلاد المغارب خلال القرن 10هـ/16م** ، مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث ، إشراف : جلول بن قومار ، جامعة غرداية ، 2021-2022م ، ص 106 .

[2] – إيمان بوظفر ، أم الخير رزاق : **المرجع السابق** ، ص 108 .

الملحق رقم 07: أميرال قلج علي[1]

الملحق رقم 08: صورة لمعركة ليبانت [2]

[1] https://dhakira.echaab.dz/2021/07/15/الأميرال-العثماني...

[2] https://ar.wikipedia.org/wiki/معركة_ليبانت

الملحق رقم09: صورة الحصار على حلق الوادي [1]

[1] https://ar.wikipedia.org/wiki/- 1574_الفتح_العثماني_لتونس

الملحق رقم 10 : مهمة دفتري 10 حكم رقم 10[1]

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

مهمة دفتري رقم 10 صحيفة 8 حكم رقم 10

بتاريخ 2 / 1 / 979

اعطى الى حاجي مرادبك في 3 صفر 979

حكم الى اميرالمراء جزائر الغرب

ورد الى سدة سعادتنا خطابك بشأن الابقاء على حكم القيودان وسائر النواحي التونسية التي الحقت بتونس كما كانت عليه من ذي قبل وعلمنا بطلبك لتبديل اربعة من السفن البحرية التي جهزتك وقد احطنا علما الشريف بكل ما جاء في هاتين الناحيتين وقد كتبنا احكام شريفة الى كل من الدستور الكرام وزيري برتوباشا ادام الله تعالى اجلاله وكذلك الى قيوداشي علي داي اقبالله وعلى امرى لهم (بتبديل السفن المذكورة على الوجه المشت) المناسب حين عودة الاسطول ان شاء الله تعالى

وامرت :

حال وصوله فبموجب امرى الشريف السابق عليك بالحاق وضبط القيروان (قيروان) وسائر النواحي التونسية التي الحقت بها كما كانت عليه سابقا وبعد انهاء الاستيلاء لمهمته وعودته امنا وسالما بعناية الله تعالى فلتختار مع مشاراليهما تبديل السفن الغازية بالشكل المناسب والتبادل جدل ورجولتيك ولتظهر انواع مساعيك الجميلة في حفظ وحراسة البلاد و قد بلغ مسامعنا استعداد سفن الاسبان للغنائم والحاق الخسارة بتونس وبذلك الجوانب لذا فان تتبع اطوارو تحضيرات حوان الكفار امامهم الدمار وكشف فكرهم الفاسد وخيالهم الكاسد فدى من اهم الامور عليك التقيد بهذه الاوامر ورصد تحركات ومخططات الكفار الاشقياء واذا تحققت من قصدهم الفاسد بالحاق الضرر بتلك الجوانب فلتتشاور بالامر مع المشار اليهما وزيري برتوباشا ادام الله اجلالة وقيوداشي علي وبموجب احكامي الشريفة المرسلة اليهما فلا يجوز اضاعة دقيقة واحدة في سبيل حفظ وحراسة وصون وحيازت تلك الاماكن بالشكل المناسب كما لا يجوز تركها خالية ومحاذران يلحق بالبلاد الاسلامية اي ضرر من الكفار والتطهيرانواع

الملحق رقم 11: مهمة دفتري 10 حكم رقم 22[2]

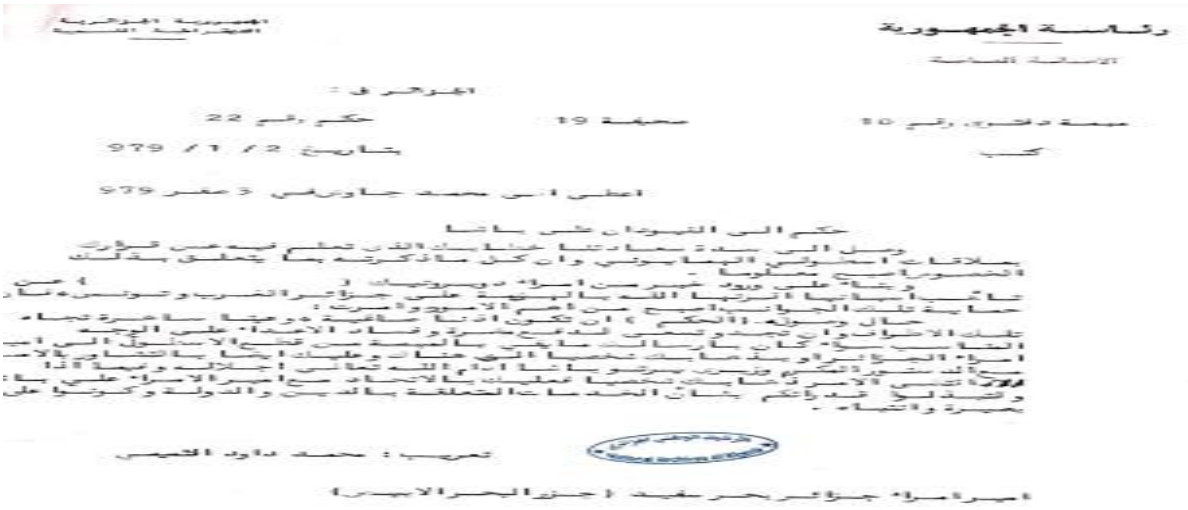

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

مهمة دفتري رقم 10 صحيفة 19 حكم رقم 22

بتاريخ 2 / 1 / 979

اعطى الى محمد جاويش في 3 صفر 979

حكم الى القيودان علي باشا

وصل الى سدة سعادتنا خطابك الذي تطلع فيه على قولك بملاقاتك اسطول البحر ابيوس وان كل ما ذكرته بما يتعلق بذلك

تعريب : محمد داود القيس

اميرالمراء جزائر بحر سفيد (جزائر البحر الابيض)

[1] – **الأرشيف الوطني : مهمة دفتري** رقم10 ، ص8 ، حكم رقم 10، 2 جانفي 979هـ .

[2] – **الأرشيف الوطني : مهمة دفتري رقم** 10 ، ص 19 ، حكم رقم 22 ، 2 جانفي 979 هـ

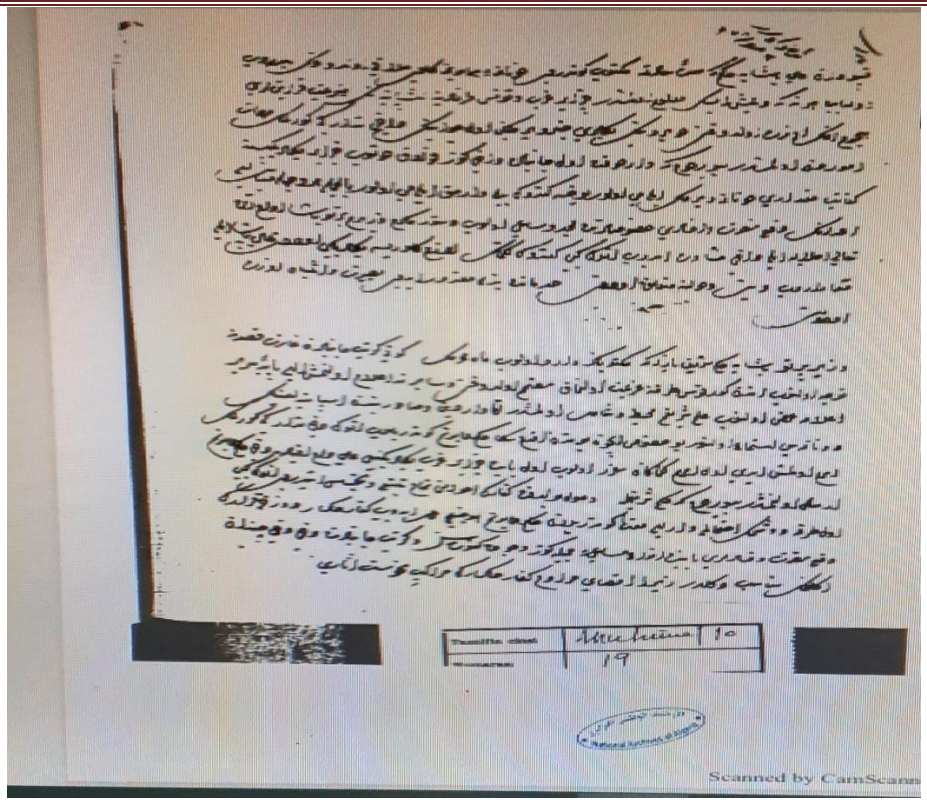

الملحق رقم12: مهمة دفتري 21 حكم 637 [1]

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

مهمة دفتري رقم 21 محفظة 266

حكم رقم 637

بتاريخ فح 16/12/980

أحيل الى كتابة الضبط في 27 ذي القعدة

حكم الى امير امراء جزائر الغرب و الى امرائها و سائر عمالها

الحمد لله على تجييش و ارسال اسطولنا البهاوي المظفر الى البحر بعيدة الرسالة الى ملك البرتغال و سائر الافرنج الشريعة عمالك . حوطهم الله الملك المتعال و ذلك في هذه السنة الشهيرة . و قد سطرت أحكام شريفة مضمنة الى قيود أني الشيخ علي — دام اقباله — أمير امراء الجزائر و جزائر بحر سفيد [بشان الاماكن التي سيفتحها البهاء الاسطول .

و بناء على ما هو مشهور في جبلتك من حمية و غيرة على دين سيد البرسلين عليه الصلاة و السلام فالمطلوب منك هو الاهتمام و تجييش الابطال من الرجال بكامل العدة و العتاد و الذخيرة منذ الان . و بمجرد وضع رجال للمحافظة على الجزائر ، فان توجيهك الى المكان المحدد للرتب و ملاقاة اسطولنا البهاوي امر من واجبات الدين و الدولة و امرنا .

حال وصله ، يجب على كل واحد منكم ابراز قوته ، و طبك بالوقوف على الاهبة الاستعداد اذ انت و من معك من عساكر — دار الجهاد — الجزائر المشهورة بكامل بلادها بيم و عتادهم و ذخيرتهم لترتيب اسطولنا البهاوي ، و فور وصول قيود اني الشار اليه الى طبك الاطراف — بمشيئة الله الاخر — ينبغي ان تصبح معه على حسن اتفاق و اتحاد و ان تواجد عليكما و جيشكما ، كي تتمكنا حال ان الفرصة من اليسوم على مواقع اعداء الدين لناذ بيم ، و ذلك حسبما جاء في الاحكام الشريفة الصادرة للمشار اليه ، و على الوجه الذي يراه مناسبا .

فعليك بانواع السعي و الاهتمام بمصالح الدين المبين ، و طبكما بمثال الجهاد ، سيحف بانواع مايحبا و يطفا ، و ستحقق اماله انشاء الله تعالى ، و طبه ، يجب ، ان تعلب ، استمالة ابطال الجزائر الشجعان ، و تحريضهم على القتال .

تحريرا محمد داود الخوجي

[1] – **الأرشيف الوطني : مهمة دفتري رقم** 21 ، ص 266 ، حكم 637 ، 16 ديسمبر 980هـ .

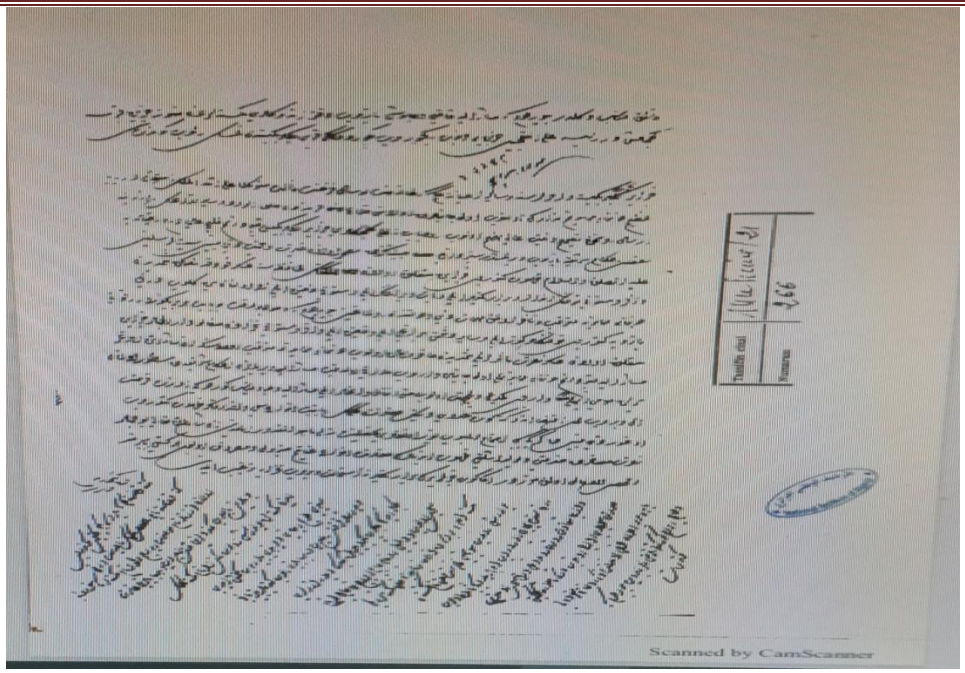

الملحق رقم13: مهمة دفتري 25 حكم 3036[1]

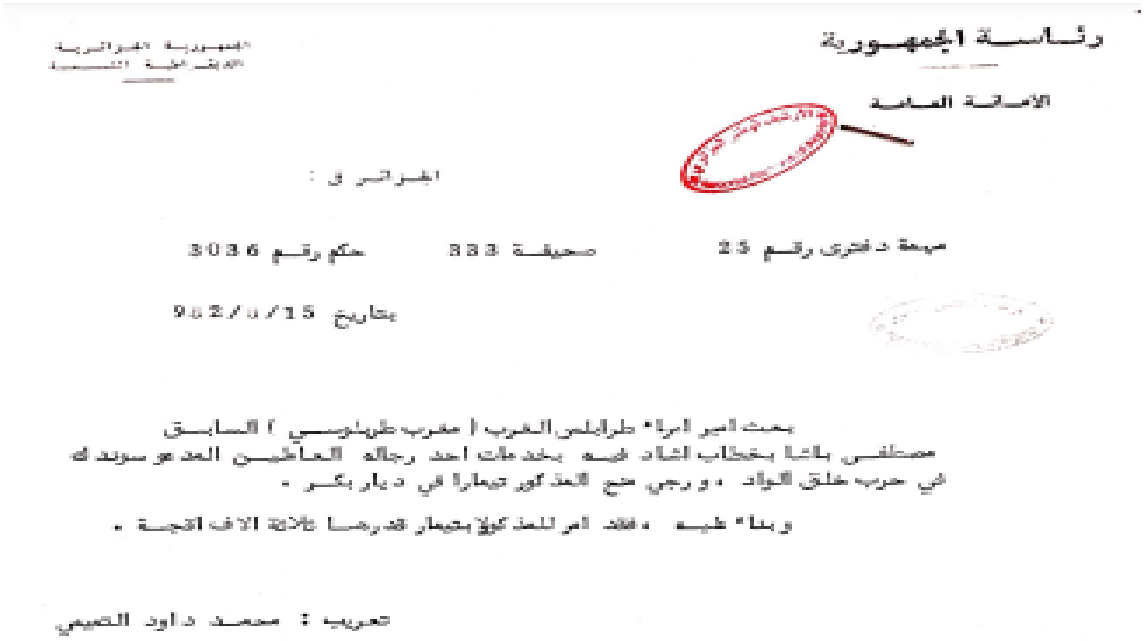

رئاسة الجمهورية

الأمانة العامة

مهمة دفتري رقم 25 صحيفة 333 حكم رقم 3036

بتاريخ 15/ /982

بحث امير اوزا طرابلس الغرب / مغرب طرابلسي / السابق
مصطفى باشا بقطاب الشاد فيه بخدمات احد رجاله العاطلين العدو سوندك
في حرب خلق الواد ، و رجي منح المذكور تيمارا في ديار بكر .

و بناء عليه ، فقد امر للمذكور بتيمار قدرهـا ثلاثة الاف اقجة .

تعريب : محمد داود الصيفي

[1] – **الأرشيف الوطني : مهمة دفتري** رقم 25 ، ص 333 ، حكم 3036 ، 15 أوت 982هـ

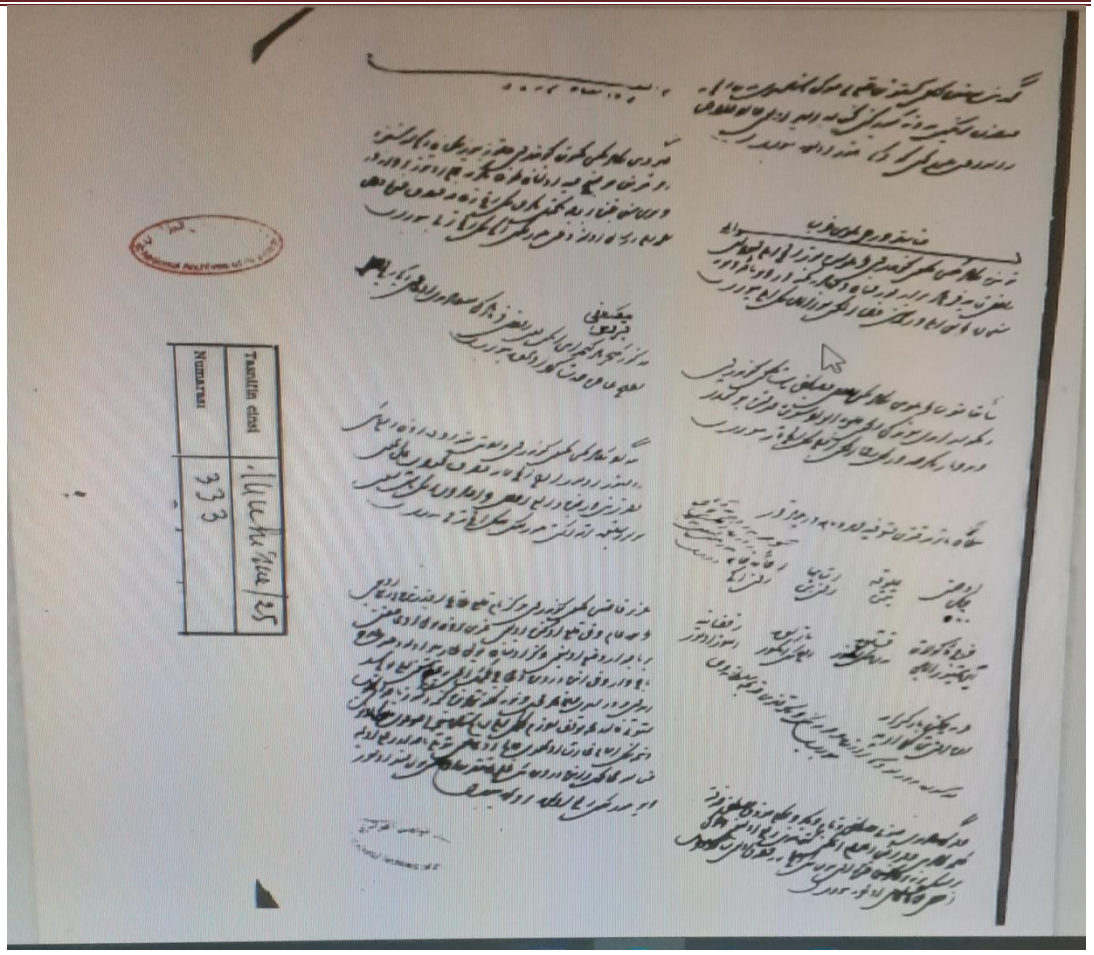

المصادر والمراجع

- **أولاً: الوثائق الأرشيفية**
- **أ–الوثائق الأرشيفية الأصلية:**
- **1/ الأرشيف الوطني الجزائري:**

1. مهمة دفتري رقم 09، حكم رقم 231، ص136، بتاريخ 977/10/23هـ/ 1570م.
2. مهمة دفتري رقم 10، حكم رقم 06، ص04، بتاريخ 979/01/02هـ.
3. مهمة دفتري رقم 10، حكم رقم10، ص08، بتاريخ979/01/02هـ
4. مهمة دفتري رقم 10، حكم رقم 22، ص19، بتاريخ979/01/02هـ.
5. مهمة دفتري رقم 10، حكم رقم 19، ص17، بتاريخ979/01/12هـ.
6. مهمة دفتري رقم 14، حكم رقم 284، ص200، بتاريخ979/02/03هـ
7. مهمة دفتري رقم 21، ص 266، حكم رقم 637، بتاريخ980/12/16هـ.
8. مهمة دفتري رقم 21، حكم رقم 637، ص 266، بتاريخ 980/12/16هـ.
9. مهمة دفتري رقم 24، ص59، حكم رقم 166، بتاريخ 981/12/05هـ.
10. مهمة دفتري رقم 24، ص59، حكم رقم 166، بتاريخ 981/12/05هـ.
11. مهمة دفتري رقم 24، ص72، حكم رقم 198، بتاريخ981/12/05هـ.
12. مهمة دفتري رقم 24، ص ص91- 92، حكم رقم 246، بتاريخ 981/12/14هـ.
13. مهمة دفتري رقم 25، ص333، حكم رقم 3036، بتاريخ 982/08/15هـ.
14. مهمة دفتري رقم 25، ص341، حكم رقم 3107، بتاريخ 982/08/27هـ.

2/ الأرشيف العثماني:

15. **مهمة دفتري** رقم 10، ص04، بتاريخ 979/01/17هـ
16. **مهمة دفتري** رقم 10، ص12، بتاريخ 03 صفر979هـ
17. **مهمة دفتري** رقم 10 ص 179 تسلسل 266 في 19 شوال 979هـ/5 مارس 1572م.
18. **مهمة دفتري** رقم 10 ص 183 تسلسل 269 في 19 شوال 979هـ / 5 مارس 1572م
19. **مهمة دفتري** رقم 12، ص541، بتاريخ: 25شوال 979هـ/ 11مارس1572
20. **مهمة دفتري** رقم 12، ص571، بتاريخ 979/11/08هـ
21. **مهمة دفتري** رقم 16، ص24، بتاريخ 23 محرم 979هـ/ 17جوان 1571م.
22.

23. **مهمة دفتري** رقم 21، ص220، بتاريخ 980/11/21هـ
24. **مهمة دفتري** رقم 21، ص226، بتاريخ980/12/21هـ،

25. **مهمة دفتري** رقم 23، ص 86 ،8 جمادى 981هـ / 5 سبتمبر 1573م
26. **مهمة دفتري** رقم 23، ص303، 28 شوال 981هـ/ 20 فيفري 1574م.
27. **مهمة دفتري** رقم 23، ص 313، 13 ذي القعدة 981هـ/ 6 مارس1574م

28. **مهمة دفتري** رقم 23، ص 349، 18 ذي القعدة 981هـ/ 11مارس1574م.
29. **مهمة دفتري** رقم 24، ص05، 16 ذي القعدة 981هـ/ 09مارس1574م.
30. **مهمة دفتري** رقم24، ص 75، بتاريخ (15دي الحجة 981هـ/ 7 أفريل 1574م)
31. **مهمة دفتري** رقم 24، ص59، حكم رقم 167، بتاريخ 981/12/05هـ.
32. **مهمة دفتري** رقم 24، ص 60، حكم رقم 168، بتاريخ 981/11/05هـ/1574/02/24م.
33. **مهمة دفتري** رقم 25، ص345، حكم رقم 3144، بتاريخ 982/09/04هـ.
34. **مهمة دفتري** رقم 25، ص345، حكم رقم 3143، بتاريخ 982/09/04هـ.
35. **مهمة دفتري** رقم 25، ص345، حكم رقم 3141، بتاريخ 982/09/04هـ.

36. **مهمة دفتري** رقم 26، ص 288، بتاريخ 15 رجب 982هـ/ 31 أكتوبر1574م
37. **مهمة دفتري** رقم 26، ص 287؛ بتاريخ: السبت 15 رجب 982هـ / 31 أكتوبر 1574م
38. **مهمة دفتري** رقم 29، ص 85؛ بتاريخ 3 رجب 984 هـ/ 26 سبتمبر 1576م.

ب– الوثائق الأرشيفية المنشورة باللغة العربية:

1) التميمي عبد الجليل: دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر ، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2009م

ج– الوثائق الأرشيفية المنشورة باللغة الأجنبية:

1. - Charrière Ernest : Négociations de la France dans le levant, Extrait de la correspondance de Rome et de Venise ,4t , Paris , (1848-1860), t2 .

- **ثانيا– المصادر العربية والمعربة:**

1. بربروس خير الدين: مذكرات، تر: محمد دراج، ط1، الجزائر،2010.
2. كربخال مارمول: إفريقيا، تع: محمد حجي وآخرون،ج3، دار النشر للمعرفة، الرباط، د ت.
3. المجهول: غزوات عروج وخير الدين، تع: نور الدين عبد القادر، المكتبة الثعالبية والمكتبة الأدبية لصاحبها رودسي قدور بن مراد، الجزائر،(1353 – 1934م).

4. الوزان حسن: وصف افريقيا، تع: محمد حجي وآخرون، ط2، ج2 دار الغرب الإسلامي، بيروت،1983م.

- **ثالثا– المصادر الأجنبية:**

1- Fray, Diego de Haedo: Histoire des Rois d Alger, Trad. par : H D Grammont , R.A , t24, 1980 .

- **رابعا–المراجع العربية والمعربة:**

1. الأرقش دلندة وآخرون: المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشر الجامعي ميديا كوم، تونس، 2003.
2. ألتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر، محمود علي عامر،ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1989م.
3. ألفون روسو: الحوليات التونسية، تع وتح: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، د ت.
4. ابن أبي الضياف أبو العباس أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تصدير: محمد شمام، ج2، تونس، 1976م.
5. بوحمشوش نعيمة: مساهمة البحرية الجزائرية في الحروب العثمانية خلال القرن السادس عشر، القافلة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
6. جلبي كاتب: تحفة الكبار في أخبار البحار، المطبعة البحرية، إسطنبول، تركيا، 1911م.
7. الجمل شوقي عطا الله: المغرب العربي الكبير، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977.
8. جوليان شارل أندري: تاريخ افريقيا الشمالية، تع محمد مزالي والبشير بن سلامة، 3ج، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس 1983، ج2.
9. حتاملة محمد عبده: الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة– دراسة شاملة، د ط، دائرة المكتبة الوطنية، عمان، 2009م.
10. الخطيب مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1996م.
11. حمودة بن محمد بن عبد العزيز: التاريخ الباشي، تح: محمد ماضور، الدار التونسية للنشر، تونس1970، ج1.

12. السراج الأندلسي: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تق وتح. محمد الحبيب الهيلة، 3ج، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985م، ج2.
13. سعيدوني ناصر الدين: النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية(1800-1830م)، الجزائر 1979.
14. سيد محمد سيد: دراسات في التاريخ العثماني، دار النهضة العربية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 1996.
15. الغنيمي عبد الفتاح مقلد: موسوعة المغرب العربي، ج5، مكتبة مدبولي، القاهرة مصر.
16. فارس محمد خير: دراسات في تاريخ شمال افريقيا الحديثة، تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي، ط1،دار المدار الإسلامي، بيروت لبنان،2008.
17. فارس محمد خير: دراسات في تاريخ شمال افريقيا الحديثة (تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني الى الاحتلال الفرنسي)، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت1969م.
18. المحامي محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي،ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1981م.
19. مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج2، دار القصبة، الجزائر، 2006.
20. نيقولاي إيفانوف: الفتح العثماني للأقطار العربية(1516-1574م)، تع: يوسف عطا الله، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2004م.
21. نيقولاي إيفانوف: تاريخ البلدان العربية، موسكو، روسيا، 1963م.
22. الهادي الشريف: تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تع: محمد
23. وولف جون بول: الجزائر وأوربا (1500 -1830)،تع: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1986م.
24. الياغي أحمد إسماعيل: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط1، مكتبة الكبيعان، السعودية،1996م.

- **خامسا–المراجع الأجنبية:**

1-Henri . D) DE Grammont: Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Ernest Leroux. Éditeur, Paris, 1887.

- **سادسا– الأطروحات والرسائل الجامعية:**

1. أولاد العيد زينب : جهود خير الدين بربروس في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط 1518-1546م ، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث ، إشراف: رحيمة بيشي ، جامعة غرداية ، 2020-2021م.
2. بوظفر إيمان ، رزاق أم الخير : جهود الجيش العثماني في تحرير بلاد المغارب خلال القرن 10هـ/16م ، مذكّرة مقدمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الحديث ، إشراف : جلول بن قومار ، جامعة غرداية ، 2021-2022م.
3. بيشي رحيمة: العلاقات السياسية التونسية الاسبانية في أواخر الدولة الحفصية(898- 982هـ/ 1494- 1574م)، رسالة ماجستير في تخصص التاريخ الحديث، اشراف د شكيب بن حفري، المركز الجامعي بغرداية، 1432- 1433هـ/ 2011-2012م.
4. التومي طاهر: علاقات الايالات المغاربية العثمانية مع إسبانيا ما بين1520- 1792، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة سيدي بلعباس ، 2019/2018م.
5. دكاني نجيب: الاحتلال الاسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائري خلال ق10هـ/16م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001-2002م.
6. سعيود إبراهيم: علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين 18و19، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، الجزائر(1999-2000م).
7. سي يوسف محمد: قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية، رسالة ماجستير في التاريخ
8. الشافعي درويش: علاقات الايالات العثمانية في غرب المتوسط مع اسبانيا خلال القرن (10هـ/16م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، المركز الجامعي بغرداية، (2010-2011م) .
9. غزيل آسيا و رزاق منال مسعودة: الصراع الاسباني العثماني خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، مذكرة لنيل شهادة ماستر تاريخ المغرب الحديث، قسم التاريخ، إشراف: بيشي رحيمة، جامعة غرداية، الجزائر، (1441/1440هـ/2020/2019م).

- **سابعا–المقالات العربية والمعربة:**

1. بن خروف عمار: "نظرة عن العلاقات السياسية بين الجزائر وتونس من 1574مإلى 1671م"، مجلة دراسات انسانية، دت ، الجزائر.

2. بوعزيز يحي: "مقاومة جربة للغزوات الأوروبية في القرن السادس عشر" أعمال الملتقى حول تاريخ جربة (أفريل 1982م)، المعهد القومي للآثار والفنون، جمعية صيانة جزيرة جربة، 1986.

3. بيشي رحيمة و سعيود إبراهيم: العمليات الجهادية لأسطول الجزائر العثمانية خلال القرن(10هـ/16م) من خلال وثائق مهمة دفتري ، دراسة نماذج، مجلة دراسات تاريخية، مج9، العدد الأول، الجزائر، 1443هـ/2021م.

4. رابحة محمد ، خضير عيسى: (دخول طرابلس تحت الحكم العثماني)، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، (د،م،ن)، ع2، 23-24ماي 2007.

- **ثامنا–المقالات الأجنبية:**

1- Braudel Fernand: «Les Espagnoles et L'Afrique du Nord de 1492 -1577», R.A, t 69, 1928.

- **تاسعا– المواقع الألكترونية:**

1- موقع موضوع: شخصيات تاريخية، آخر تحديث: 20:18 ، 14 جويلية 2022م.

2- 2https://ar.wikipedia.org/wiki/أبو_عبد_الله_الحس

3- https://ar.wikipedia.org/wiki/1574_الفتح_العثماني_لتونس

4- https://ar.wikipedia.org/wiki/معركة_ليبانت

5- https://dhakira.echaab.dz/2021/07/15/الأميرال-العثماني...

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	06-01
الفصل الأول: الصراع الاسباني العثماني على تونس	
المبحث الأول– العثمانيون في مواجهة الاسبان في تونس (942هـ/1535م)	09
أولا: توجه خير الدين نحو تونس(941هـ/1534م)	09
ثانيا: شارلكان يوجه حملة على تونس(942هـ/1535م)	13
المبحث الثاني– تونس تحت الاحتلال الاسباني (942–949هـ /1535–1542م)	20
أولا: استيلاء الاسبان على تونس وتوقيع معاهدة الحماية	20
ثانيا: استكمال الاسبان لمشروعهم الاحتلالي في تونس	23
المبحث الثالث– دور الدولة العثمانية في تحرير تونس	26
أولا: إسهامات درغوث باشا في مواجهة الاسبان	26
ثانيا: الجنوب التونسي تحت قبضة درغوث باشا	28
خلاصة الفصل	30
الفصل الثاني: الظرفية المتوسطية لمعركة تونس–حلق الوادي (982هـ/ 1574م)، والمسببات	
المبحث الأول–قلج علي يقود الحملة على مدينة تونس(977هـ/1569م)	33
أولا– استعدادات قلج علي الحربية:	34
ثانيا– السيطرة على مدينة تونس(تحريرها)	36
ثالثا– قلج علي يحاول تحرير حلق الوادي	36
المبحث الثاني– الدون خوان النمساوي وجه حملة على تونس(الحملة الإسبانية الثانية على تونس 981هـ/ 1573م)	38
أولا–أثر(نتائج) معركة ليبانت على أوروبا والدولة العثمانية	39
ثانيا– أهداف الدون خوان في تونس	39

المبحث الثالث– معركة تونس–حلق الوادي(المسببات والاستعدادات)	43
أولا– أسباب ودوافع معركة تونس – حلق الوادي	45
ثانيا– الاستعدادات العسكرية العثمانية والإسبانية للمعركة	51
خلاصة الفصل	54
الفصل الثالث: الحملة العثمانية على تونس وحلق الوادي وتداعياتها	
المبحث الأول: مجريات الحملة العثمانية	57
أولا –سير الحملة	57
ثانيا– مخطط الأسطول العثماني في الهجوم	60
المبحث الثاني– الفتح النهائي لحلق الوادي وتونس	63
أولا– تحرير حلق الوادي والقضاء على الإسبان (982هـ/1574م)	63
ثانيا– تحرير مدينة تونس (982هـ/1574م)	65
المبحث الثالث– تداعيات (انعكاسات) معركة حلق الوادي–تونس	70
أولا–محاولات الحفصيين واسبانيا في استرجاع تونس	70
ثانيا: الحاق حكم ايالة تونس بالجزائر و ضبط النظام فيها	71
ثالثا– نتائج الحملة العثمانية على تونس–حلق الوادي	73
خلاصة الفصل.	75
الخاتمة	77
الملاحق	81
المصادر والمراجع	91
فهرس المحتويات	98
ملخص	100

الملخـــص

ملخص الدراسة:

إن قدوم الأتراك العثمانيين إلى تونس مع مطلع القرن السادس عشر ،فرض حتمية حدوث صراع ،لأنهم قدموا على أساس حماية المسلمين وطرد أعداء الدين ،وقد رحب سكان هذه المنطقة بالعثمانيين وأعلنوا وقوفهم إلى جانبهم ،ولكنهم وجدوا الحفصيين الذين لم يكونوا راضيين عن حكمهم، وأيضا لم يكن السلطان الحفصي مولاي حسن محبوبا من التونسيين بسبب ظلمه وفساده ، وقد رغبوا في التخلص منه واستنجدوا بخير الدين ، الذي كان لتونس في نظره اهمية استراتيجية كبيرة لإشرافها على المضيق الصقلي بحيث تسمح لخير الدين بالسيطرة عليها في تهديد أو قطع المواصلات بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي، وكان تخوف الدولة العثمانية من سقوط تونس بيد الاسبان الذين كانوا يريدونها لوقف توسع العثمانيين في الحوض الغربي للبحر المتوسط، فقرر الامبراطور شارلكان شن حملة ضخمة على تونس، وفي 1535م.

وصلت الحملة الاسبانية الى الشاطئ التونسي بقيادة شارلكان نفسه ، وباشر في قصف حلق الوادي ، فاستولى عليها ثم زحف الى تونس وأرجع السلطان الحفصي الحسن إلى عرشه بعدما دخل في حمايته وأمضى معه معاهدة في 6 أوت 1535م التي فرضت الحماية على تونس وتسليم حلق الوادي للإسبان. وقبل توقيع المعاهدة استباح شارلكان لجنوده ينهبون المدينة ويقتلون الأهالي.... ، وبعد سيطرة العثمانيين على طرابلس الغرب سنة 1551م ،وربط نفسه بالدولة العثمانية ، وبدأ "درغوث رايس" يتوغل في الاراضي التونسية على حساب الحفصيين .وهكذا اصبحت تونس محصورة بين الجزائر وطرابلس .

وفي عام 1569م هاجم قلج علي تونس ودخل تونس بعد ان فر السلطان الحفصي أحمد الحفصي واستنجد بالإسبان في حلق الوادي. وبعد ان تم قلج علي من السيطرة على تونس ترك ثلاثة آلاف جندي بقيادة رمضان واخذ البيعة للسلطان العثماني من اهالي تونس ثم عاد الى الجزائر ليعيد تنظيم اسطوله ويهيئ حملة لانتزاع حلق الوادي من الاسبان، وفي 7 اكتوبر 1571م جرت معركة ليبانت، انهزم الاسطول العثماني هزيمة كبيرة. هذا الانتصار جعل من اسبانيا ومن فيليب الثاني من مواصلة مشاريعه الافريقية ، فشرع في اعداد حملة كبيرة للاستيلاء على تونس ،وهذا بعد لجوء السلطان الحفصي اليه وطلبه مساعدته .قاد الحملة الاسبانية الامير دون جوان النمساوي سنة 1573م، عمل "قلج علي" على إعادة بناء الاسطول العثماني وتنظيمه للانتقام من هزيمة معركة

ليبانت . لهذا أصدر السلطان العثماني أوامره إلى وزيره "سنان باشا" وقبودانه "قلج علي باشا "بالتوجه الى تونس لاستعادتها وفتحها نهائيا .وفي عام 1574م توجهت قوات عثمانية من طرابلس الغرب والجزائر والقيروان وانضمت اليها قوات عثمانية من تركيا بقيادة "سنان باشا" و "قلج علي" . ونجحوا في الاستيلاء على حلق الوادي بعد أن فرضوا عليها حصارا محكما ، ثم استولوا على تونس، وبذلك أخضعوا البلاد التونسية كلها ، وبذلك انتهى عهد الدولة الحفصية، كما انتهى معها الوجود الاسباني في تونس التي غدت ولاية عثمانية ابتداء من سنة 1574م.

Résumé de l'étude:

L'arrivée des Turcs ottomans en Tunisie au début du XVIe siècle a imposé la fatalité d'un conflit, car ils sont venus sur la base de la protection des musulmans et de l'expulsion des ennemis de la religion. Le sultan hafside, Moulay Hassan, n'était pas populaire auprès des Tunisiens en raison de son oppression et de sa corruption.Ils voulaient se débarrasser de lui et ont demandé l'aide de Khair ad-Din..La Tunisie, selon lui, avait une grande importance stratégique pour son surveillance du détroit de Sicile, permettant à Khair ad-Din de le contrôler en menaçant ou en coupant les communications entre les deux bassins de la Méditerranée, Est et Ouest.

L'Empire ottoman craignait que la Tunisie ne tombe entre les mains des Espagnols, qui voulaient qu'elle arrête l'expansion des Ottomans dans le bassin occidental de la Méditerranée, alors l'empereur Charlacan décida de lancer une campagne massive contre la Tunisie, et en 1535 après JC le La campagne d'Espagne a atteint la côte tunisienne sous la direction de Charlacan lui-même. Il a commencé à bombarder La Goulette, alors il s'en est emparé. Puis il a rampé jusqu'en Tunisie et a ramené le sultan Hafsi al-Hasan sur son trône après être entré sous sa protection et avoir signé un traité avec lui le 6 août 1535 CE, qui a imposé la protection à la Tunisie et a remis la vallée aux Espagnols. Avant la signature du traité, Charlemagne a permis à ses soldats de piller la ville et de tuer les gens. Les raïs commencèrent à s'infiltrer dans les terres tunisiennes aux dépens des Hafsides, la Tunisie se retrouva ainsi confinée entre l'Algérie et Tripoli. En 1569 après JC, Qilij Ali a attaqué la Tunisie et est entré en Tunisie après la fuite du sultan hafsi Ahmad al-Hafsi et a demandé l'aide des Espagnols dans la vallée. Après qu'Ali ait été guéri du contrôle sur la Tunisie, il a laissé trois mille soldats dirigés par le Ramadan et a fait allégeance au sultan ottoman du peuple tunisien, puis est retourné en Algérie pour réorganiser sa flotte et préparer une campagne pour arracher la vallée aux Espagnols. . Cette victoire obligea l'Espagne et Philippe II à poursuivre ses projets africains, il commença alors à préparer une grande campagne pour s'emparer de la Tunisie, C'est après que le sultan Hafsi eut recours à lui et demanda son aide. La campagne d'Espagne fut menée par le prince Don Juan d'Autriche en l'an 1573. " Qilij Ali" travailla à reconstruire et à organiser la flotte ottomane pour venger la défaite des Bataille de Lépante. C'est pourquoi le sultan ottoman donna l'ordre à son

ministre, Sinan Pacha, et à son gouverneur, Qilij Ali Pacha, de se rendre en Tunisie pour la restaurer et enfin la conquérir.En 1574 après JC, les forces ottomanes partaient de Tripoli à l'ouest, l'Algérie, et Kairouan, et ont été rejoints par les forces ottomanes de Turquie, dirigées par Sinan Pacha et Qilij Ali. Ils ont réussi à s'emparer de la gorge de la vallée après lui avoir imposé un siège serré, puis ils ont pris le contrôle de la Tunisie, et avec cela ils ont subjugué tout le pays tunisien. Ainsi s'achève l'ère de l'État hafside, tout comme la présence espagnole en Tunisie. La Tunisie est devenue un État ottoman à partir de l'année 1574 après JC.